
أنوار العروج



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أولو العزم

الكتاب : أنوار العروج (خواطر وذكريات عن حياة
الامام الخميني «قدس سره»)
كتب هذه الخواطر حجة الاسلام رحيميان
ونشرتها مجلة (باسدار اسلام)
ترجمة : علي شرف الدين

بسمه تعالى

الإهداء

الى من رفع راية الإسلام خفاقة...

الى قبلة المجاهدين والشهداء والابرار...

الى من سطر ملحمة المستضعفين في الارض...

الى آخر حملة الرسالات وسدنة الهدايات...

انسكبت حزمة النور من بين شفتيه،

فسالت ألقاً وشفقاً ومنارة تهدي للحرية.

الى روح الإمام الراحل

وفاءً واخلاصاً وبيعة

سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية - بيروت

تقديم : بقلم سماحة آية الله
السيد محمد حسين فضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين وبعد.

فقد يمرّ على الناس وقت طويل، قبل أن يتعرّفوا إلى العناصر الخفية من شخصية الإمام الخميني قدّس سرّه في عمق الروحية المنفتحة على الله في أوسع الآفاق. وفي الامتداد العرفاني الذي كان يطلّ على المعرفة بالله في أبعد المسافات وفي الطهارة الأخلاقية، والعفوية الإنسانية والصفاء الإيماني، والرسالة الإسلامية التي تشمل كل آفاقه وتطلعاته وعلاقاته وحركته في الحياة لأن الكثير الكثير مما كان يعيشه في فكره وروحه وينطلق به في سبحات القدس مع ربه، مما لم يكتشفه إلا الصفوة الطيبة من تلامذته القريبين منه الذين يتحسسون منه ما لا يتحسسه الناس الآخرون من خلال الخصوصيات المتناثرة هنا وهناك التي تكشف بعضاً من جوانب الشخصية الفكرية والروحية والعملية.

لقد عرف الناس من شخصية الإمام الخميني قدس سرّه الكثير من الصفات الأخلاقية والعلمية والثورية والعرفانية فامتلأت حياتهم بما عرفوه في ذلك وعاشوا التعظيم والتقدير والاحترام لهذه الشخصية التاريخية الإسلامية الفريدة.

ولكن هناك جوانب يعرفها الأقربون إليه من عائلته وأولاده ومعاونيه الذين كانت حياتهم اليومية تتصل بحياته بحيث يمكن لأحاديثهم عنه أن تكون وثيقةً حيّةً للجانب العفوي الشخصي من ذاته. الأمر الذي قد يطلّ بنا على آفاقٍ جديدةٍ من شخصيته لنجد فيها التفسير العميق لبعض أقواله وأفعاله لأن الحياة اليومية للإنسان في شؤونه مع أهل بيته ومع تلامذته ومعاونيه تحمل الكثير من الإيحاءات التي لا تحملها الأوضاع العامة للإنسان.

وهذا هو الذي نحتاج إلى أن نلاحقه في مذكرات هؤلاء الذين عاشوا معه في خصوصياته لنؤكد عليهم أن يتحدثوا عن كل شيء سمعوه أو شاهدوه أو عايشوه مما قد يشعرون بأهميّته أو مما لا يشعرون بقيمته لأن بعض الأمور التي قد يراها الإنسان تافهةً في مدلولها، قد تكون مهمّةً في مضمونها لدى إنسان آخر مع ملاحظة أن الإمام الخميني قدس سره يمثل ـ بحق ـ الشخصية الإسلامية التي لا يجد الإنسان مثيلاً لها في تاريخنا الإسلامي المعاصر. مما يجعل في دراسة حياته بتفاصيلها مسألةً تتصل بأكثر من جانب من جوانب المرحلة الحيّة من مراحل حركة الإسلام في العصر.

ولذلك فإن الذين عاشوا معه ـ حتى من عائلته ـ لا يملكون خصوصياته مما عرفوه من أسراره في حياته الخاصة معهم، لأن مثل هذه الشخصية الفريدة التي تركت تأثيرها على هذه المرحلة الإسلامية من عمر الإسلام، هي ملك الأمة والتاريخ الإسلامي كله.

وقد كنت ـ دائماً ـ أتحدث مع بعض تلامذة الإمام الخميني «قده» ومعاونيه أن يكتبوا أيّ شي مما يدخل في نطاق المعلومات الخاصة، ليجتمع لنا من ذلك تراث كبير نستطيع من خلاله أن ندرسه دراسةً جديدةً في هذا الجانب الخاص من حياته.

لذلك كانت سعادتي كبيرةً عندما قرأت هذه المذكرات التي كتبها حجة الإسلام رحيميان الذي عاش مع الإمام في مكتبه واستطاع أن يطلع على بعض خصوصياته، مما حدثنا عنه في كتابه هذا الذي أوضح لنا الكثير من صفات الإمام الشخصية في أوضاعه الخاصة وطريقته في التعامل مع الناس وبُعد نظرته إلى الأمور. ولكني أعتقد أن هناك أشياء أخرى مما لم يقدمها الكتاب مما نحتاج إلى معرفته ونأمل أن نجد في كتاب جديد للمؤلف أو لإخوانه مما يجمع كل ما سمعوه وشاهدوه في حياتهم مع الإمام، لا سيّما في خصوصيات الأجوبة الفقهية التي قد تحمل عناصر جديدة من عناصر النظرة الفقهية للإمام من خلال القضايا التي كان يثيرها السائلون من سائر انحاء العالم.

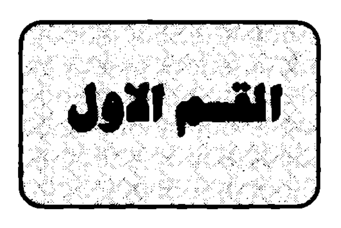
إننا نهنىء المؤلف الجليل على كتابه راجين له التوفيق والتقدم في إعطاء الضوء لأكثر من جانب من جوانب هذه الشخصية الإسلامية المميزة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس والحمد لله رب العالمين.

٢٤ شوال ١٤١١هـ

محمد حسين فضل الله

تمهيد

بالرغم من أن عظمة شخصية الإمام الخميني، وعمقها وغناها، هي من السمو بمكان لا يتيسر معه حتى لأقرب الناس إليه أو أنجب تلامذته إدراكها وفهم أبعادها، إلا أنه من المفيد أن يعمد أي شخص أتيحت له فرصة التعاطي معه، إلى التحدث عما رآه وأحس به في ذلك الإنسان العظيم، حسب مستوى فهمه واطلاعه، وحسب السعة الروحية التي يتمتع بها، حتى ترتوي الأجيال القادمة المتعطشة للمعرفة من بحر الفضيلة والنور الذي يزخر به الإمام. ولأنه كان يتمتع، رضوان الله عليه، بشخصية متكاملة الجوانب، فقد كانت حركاته وسكناته، كلماته وتصرفاته، العادية واليومية، عبارة عن دروس حية عن الحكمة الإلهية الخالدة والروح الملكوتية المتعالية. لذا فإن الأمانة العلمية والتاريخية تقتضي بأن يضع أي شخص ما سمع أو عرف من جوانب شخصية عن الإمام، تحت تصرف العامة، من أجل الفائدة وشمولها. وكاتب هذه السطور، الذي قضى أكثر من ثلثي عمره في ظل الإمام، وعشق التجربة التي خاضها، بحلاوتها ومرارتها، على مدى ٢٧ عاماً، وضع نبذة عن مشاهداته في ملف خاص أفرده لهذه الغاية. ويهمني التأكيد على أن المعلومات الواردة في هذا الملف، هي حصيلة المشاهدة المباشرة للكاتب عن الإمام.


القسم الاول

العمر: حساب التاريخ أم حساب الواقع:

لقد قيل الكثير حتى الآن عن القناعة التي كان يتمتع بها الإمام الخميني في حياته، حيث كان يقتصد إلى أقصى الحدود في الاستفادة من الإمكانيات المتاحة له. حتى أن المرء كان يلاحظ وجود هذه الخصلة لديه عند أبسط ارتباط به أو معاشرة له. لم يكن الإمام بعيداً عن الاسراف والتبذير فحسب، بل يمكن اعتبار مراحل حياته مصداقاً جلياً لقول **(المؤمن قليل المؤنة، كثير المعونة)**.

لقد حرص دوماً، رضوان الله عليه، على أقل حد ممكن من الاستزادة من متاع الدنيا ورفاهيتها، في الوقت الذي بلغ درجات عُلى في إسداء الخير للآخرين والتدرج في الآفاق المعنوية.

أود أن أتحدث في هذا المقام عن نظام التوفير الذي كان يعمل به في مجال الاستفادة من الوقت، بعد أن روي الكثير الكثير عن اقتصاده في استعمال الماء والكهرباء وسائر وسائل الحياة الضرورية.

إن عمر الإنسان الحقيقي ينبغي أن يقدر ويحسب ضمن إطار الاستغلال الصحيح والحركة الفعالة باتجاه الأهداف المثمرة وادراك فلسفة الخلق وحكمة الحياة. حسب هذا المقياس، من الممكن أن يعيش أحد الأشخاص مئة عام كما تفيد شهادة ميلاده. إلا أن عمره المفيد، إذا صح التعبير، يمكن أن يصل إلى حد الصفر أو ما دون الصفر، حيث أن هذه السحابة تكون قد مرت وهو يتحرك من خلالها كجثة متنقلة ليس لها هدف ولا اتجاه. أو أن شخصاً آخر يبلغ المدى الواقعي من عمره الذي يصل إلى مئة سنة، خمس سنوات، أو عشر سنوات، أو عشرين سنة على

سبيل المثـال . وبالنتيجة ، عندمـا يقضي لحظات عمره كلهـا من دون أن يقرب المحرمات أو يدنو من البطالة والتفاهة ، ينطبق عمره الأصلي الذي يحسب عليـه مع عمره الواقعـي الذي يحسب لـه . بالنسبة للإمـام ، فقد كانت حيـاته من جانـب محتواها وكيفيتها وغنـاها ، مصداقاً لـلآية التي تقول ﴿إنّ صلـواتي ونسكـي ومحياي وممـاتي لله رب العـالمين﴾ . حتـى أن نومه ، استراحته ، أوقات فراغه ورياضتـه ، وتناوله الطعام ، كانت تصب كلها في الاتجاه المؤدي إلى الله تعالى ، وفي تكامل الصعود المعنوي . أما من الجانب الظـاهري والكمي ، فليـس هناك مـن يستطيع الادعاء بـأنه رأى الإمام بـلا عمل أو انشغـال في يوم من الأيـام ، إلى درجة يمكننـي القول معهـا أنه في الأيـام الأخيرة من عمـره الشريف ، وبـالرغـم من الضعـف والمرض والكهولة التـي أرخت ظلالها عليه ، بقي الشخـص الأكثر عملاً وفعالية وانهماكاً بين كل الذين عرفتهم .

*** الأكثر انشغالاً بين الجميع :**

من المعلوم أن الإنسـان يحتاج إلى قدر مناسـب من السلامة الجسـدية والسكينة الروحية حتى يستطيع تحرير رسالة ما أو تدوين فكرة ما ، حيث أن وجود عـارض مرضي أو ضعف جسـدي ، أو مشاكل نفسيـة ، كفيل بأن يعيق عمله ويشل طاقتـه على التفكير والكتابة . إلا أن كل من عرف الإمام في السنـة التي تلـت موافقتـه على قرار مجلـس الأمن الـدولي بشأن وقف حرب الخليج الفارسي التي كانت بمثـابة السم الزعاف بالنسبة له ، بالإضافة إلى الآلام والمشاكل الأخرى التـي طرأت عليه وأسالت دموعه ، يشهد بـأنه قـد حرر عشرات الـرسائل والبيـانات الجامعـة التي تنـاولت مختلف المسائل المطروحة . قال كل ما يجب أن يقال ، وتحدث عن مختلف

المواضيع، وأكد على المسائل الهامة بصورة مضاعفة، وأزاح الستار عن المباحث المبهمة، وألقى الحجة على الجميع وبين لهم نور هدايتها، ولم يدع أي شاردة أو واردة تفوته لأنه اعتبر ذلك من صلب التكليف الشرعي المفروض عليه. فقد عرف بأنه بات يعيش الأيام الأخيرة التي تجمعه بالأمة التي كرس حياته لها. وإذا غضينا النظر عن المحتوى الباهر الذي تزخر به البيانات المشار إليها، فإن حجمها وكميتها وعددها فاق كل التوقعات وتخطى كل الحدود. والجدير بالذكر هنا أن هذا النشاط هو إحدى الزوايا المحدودة التي اشتملت عليها دائرة اهتماماته ومسؤولياته.

*** أعمال متعددة في وقت واحد:**

لقد اعتاد الإمام الخميني على تأدية أعمال متعددة في آن واحد. ويهمني أن أورد في هذا المقام مشاهدات مباشرة أتاحها لي اتصالي الدائم بالإمام من خلال الأجواءالمنزلية الحميمة التي عاشها.

في إحدى الأيام، استدعاني الإمام عند الساعة السابعة مساء لأمر ما. وعندما دخلت عليه، وجدته منشغلاً بأداء التعقيبات الخاصة بصلاتي المغرب والعشاء، حيث كان يؤدي الأعمال التالية:

١ ـ المسبحة في يده وهو في حالة الذكر والترديد.

٢ ـ الإستلقاء على الظهر ورفع الرجلين اليسرى واليمنى وخفضهما بصورة تبادلية، ضمن برنامج رياضي خاص أشار به الأطباء.

٣ ـ النظر إلى تصوير التلفزيون الذي عمد إلى اخفاء صوته.

٤ ـ الإستماع إلى نشرة الأخبار التي تبثها الإذاعة، من خلال جهاز راديو صغير.

٥ ـ مداعبة حفيده العزيز على قلبه، علي، الذي كان يحاول تقليد حركات جده حيث استلقى بالقرب منه.

نلاحظ من خلال ذلك أن انشغاله بالأعمال المذكورة، لم يمنعه من احاطة حفيده بالعاطفة الغامرة التي يأنس بها. وأنه يؤدي خمسة أعمال مختلفة في زمان واحد وبصورة تلقائية.

من الشواهد الأخرى التي كانت تتكرر دوماً أمام ناظري، هي رياضة المشي التي واظب عليها الإمام دوماً. كنت أراه في فترة بعد الظهر يتمشى في فناء منزله. وبالإضافة إلى هذا العمل الذي يعتبر نشاطاً هاماً في حد ذاته لأنه يحفظ سلامته ويعينه على خدمة دين الله الحنيف على أكمل وجه (**قوِ على خدمتك جوارحي**)، كان يحمل المسبحة في إحدى يديه وينشغل بذكر الله تعالى، وفي اليد الأخرى جهاز راديو صغير يستمع من خلاله إلى الأخبار السياسية، الداخلية والدولية.

لهذا يمكننا القول أن حياة الإمام الخميني وعمره الواقعي يقفان عند حدود السنين السبعة والثمانين التي عاشها لجهة الاستفادة القصوى منها، من الناحية الكمية التي أشرنا إليها. بل إن عمره الشريف يلامس مشارف الخلود من ناحية الكيفية والمحتوى والإنجاز، لارتباطه الوثيق بمبدىء الوجود الباقي بعد فناء كل شيء، والمستمر مع استمرار الحق والحقيقة.

*** كأنه لم يكن بيننا:**

اعتدنا طوال فترة عملنا بين يدي الإمام على التوجه إلى مكتب الشؤون الشرعية عند الساعة الثامنة صباحاً حيث كنا نشغل من وقته الثمين فترة

تتراوح بين العشرين إلى خمسين دقيقة يقضيها في الإجابة على الاسئلة والاستفتاءات المطروحة. وبعدها كنا ننشغل بترتيب الملفات، بينما ينصرف هو إلى المطالعة والبحث، مع إشرافه على العمل الذي نقوم به. عندما قرر الأطباء ضرورة خضوع الإمام لعملية جراحية، وحدد الموعد في إحدى أيام الثلاثاء، تغيرت عادته قليلاً حيث بدا في وضعية خاصة، يومي الأحد والاثنين اللذين سبقا يوم العملية، فلم يجب خلالهما سوى على سؤالين من الأسئلة المطروحة عليه بكلمات مختصرة ومحدودة. ثم لم يعمد بعد ذلك إلى المطالعة المعتادة بل ركن إلى جلسة هادئة ساكنة. وبدت علامات السكينة على وجهه المشرق وهو ينظر إلى الأفق البعيد. وبالرغم من أنه اختار المجلس المعتاد، فقد بدا وكأنه لم يكن بيننا.

لقد كان وضع الإمام الصحي عادياً ومستقراً إلى درجة أنه كان يستطيع الذهاب إلى أماكن اللقاءات والأعمال المعهودة تماماً كما جرت العادة في أوقات الصحة والسلامة. إذن فهو لم يكن يعاني ظاهرياً من المتاعب الجسدية، كما لم يكن مطلعاً بشكل دقيق على نوعية المرض الذي يعاني منه. وعلى حد علمي، فإنه لم يبلغ بحقيقة حالته حتى النهاية. وبالنسبة لوضعية تناوله للطعام والشراب، هي أيضاً كانت طبيعية. إذ أنه استمر في تناول المرطبات حتى الأسبوع الأخير الذي سبق إجراء العملية، حين طلب منه طبيبه الخاص بالتوقف عن ذلك. في يوم الاثنين، أتى الطبيب المشرف وأخبر الإمام بعزمه على إجراء نفس العمل الذي أجري يوم أمس، أي أخذ صورة (اندوسكوبي) لمعدته.

اقترح الإمام، الذي كان يعتقد بأن النزيف الذي أصاب معدته ناتج عن تناوله المفرط للحبوب والأقراص المعالجة، بأن يتوقف عن استعمالها

لمدة عشرة أيام علها تفيد في وقت النزيـف . وذلك بعد أن عبر عن ضيقه الشديـد بالإجـراءات التي يستلزمهـا أخذ الصـورة الطبية المشـار إليها . عندها أفاد الطبيب بأن أخذ الصـورة هو أمر لا بد منه . وبعد أن استأذن الإمام ، وعده بأن يبذل قصارى جهـده في سبيل التخفيف من حدة الألم والإزعاج .

بعد أن نأخذ هذه الخصوصيـات بعين الاعتبار ، وبالنظر إلى أن الإمام قد مر بمراحـل مستعصية من الأمراض المختلفة من قبـل ، لا أجد دليلاً يقنعني بأنه كـان كئيباً بسبب حالته المرضية . وحتى لو افترضنـا بأنه كان مطلعاً على خطورة العمليـة الجراحية المزمع إجراؤهـا له ، أو مدركاً لـدنو أجله ، فلم تكن شخصيتـه من النوع الذي يهتز لهذه المشاعـر . لذا نطرح تساؤلاً عن السبب الذي دفعه إلى الاندماج في تلك الحالة من السكوت ، والتأمـل العميق المعبر؟ الصورة الظـاهرية كانـت تفيد بأن الإمـام لم يكن مطلعاً على شيء من حقيقـة حالته ، بينما نحن كنـا ملمين ببعض الشيء عنها . لكـن تُرى ألم تكن بصيرة الإمام النـافذة مطلعة على أمـور دقيقة لم تكن لتخطر حتى على بالنا ومخيلتنا؟

*** بين غرفة العمل والمستشفى :**

في صبيحة يـوم الثلاثـاء ، أي اليوم المقـرر لإجراء العمليـة الجراحية ، توجهـت إلى بيت الإمام كـالمعتاد حـاملاً معي الأوراق والمستنـدات التي كنت أعرضها عليه كل يوم لأخذ الـرأي المناسب بشأنها . وبالرغم من أني كنت مطلعاً على برنامج العملية ، إلا أني تصرفت بوحي من العاطفة التي ترفض تصديق ذلك الحدث . فذهبـت في الموعد المحدد ، لكني فوجئت

بالباب المغلق. اضطربت أعصابي، وارتعش قلبي، وهرعت فزعاً إلى المستشفى. وما كدت أدخل إلى البهو حتى وقعت عيناي على جهاز التلفاز الموجود على الطاولة. رأيت الإمام في حالة الغيبوبة في غرفة العمليات. وبدا الأطباء وهم يحومون حوله، كالفراشات وهي تحوم حول الشمعة المشتعلة، ويستعدون لمباشرة العملية. اللحظات الكئيبة هذه كانت تضغط على صدري كأنها حمل لا يطاق. نظرت حولي فوجدت الدموع تنسكب من عيون الحاضرين. الشفاه تترنم بذكر الدعاء والابتهال، والنفوس تخشع لذكر الله وتلتمس الفرج. بعد ذلك، توالى حضور قادة القوى الثلاثة، التشريعية والتنفيذية والقضائية، سماحة الشيخ رفسنجاني، سماحة السيد خامنئي، وسماحة السيد أردبيلي، إلى القاعة المذكورة. كان هناك أيضاً بعض أعضاء مكتب الإمام، ونجله السيد أحمد، وإحدى أخواته الكريمات. تسمرت العيون على جهاز التلفاز لتشاهد الإمام، لكن الدموع الغزيرة كانت تحجب الرؤية عنها، بينما كان أفراد عائلته أكثر الحاضرين رباطة في الجأش والهدوء والسكينة، ولا غرابة في ذلك كونهم ورثوا صلابة العزيمة عن والدهم الجليل.

لم أكن أقوى على النظر، وفي نفس الوقت لم أكن أقوى على غض النظر عن المحبوب. ترى هذا المشرط أيشق صدر الإمام أم يمزق أكبادنا الملتهبة؟ مضت ثلاث ساعات حتى وصلت العملية الجراحية إلى ختامها، لكن وطأتها عليّ وعلى الآخرين كانت بمثابة ثلاثين سنة. ثلاثين سنة، هي العمر الذي قضيته في خدمة الإمام، تختصر العشق واللهفة والذكريات المتنوعة، حلاوة اللقاء، ووحشة الفراق.

وأخيراً غمرت الفرحة المكان المكتظ بالحضور، ونجحت العملية بدون

حدوث أي عارض قلبي. حانت لحظة الحبور والأمل، والسعادة التي تعادل فرحة ملازمة ثلاثين سنة. وعند انتقاله من غرفة العمليات، ومروره من أمامي، انسكبت دموع الشوق والعشق من عيناي وأزالت الغشاوة عنهما، فاكتحلت مرة أخرى برؤية وجهه الذى يشرق نوراً، وهدأ روعي وسكنت خواطري.

كنت أود أن أتقدم بالشكر الجزيل من الطبيب المعالج والفريق المعاون له، لكن الألفاظ هربت مني ولساني لم يطاوعني من شدة التأثر، واذكر أني تمكنت فقط من تقبيل يد الطبيب.

لم تمضِ فترة طويلة حتى بدأت هذه السعادة الغامرة والآمال الحلوة تصطدم بالتوقعات المخيبة للآمال والتقارير الطبية التي كانت تبعث تارة على الخوف، وطوراً على الاطمئنان. الساعات الطويلة كانت تمر ببطء شديد، وعقارب الساعة كانت تتحرك بتثاقل ووجوم.

هناك خواطر كثيرة في ذهني عن أيام المستشفى، وهناك أناس كثيرون نالوا شرف الحضور إلى جانب الإمام في تلك الفترة. وكل واحد منهم كان يعبر عن لهفته على المحبوب بطريقة مختلفة: العبادات، الصلوات، الأدعية، الابتهالات، البكاء في آخر الليل والتوسل إلى الله، والاهتمام الذي يفوق كل حد بكل الأسلحة المعنوية التي اعتمدها الإمام في حياته. وقد أراد الله عز وجل ألا يحرم هذه العيون الولهانة من رؤية الأبعاد المعنوية الخفية التي تنطوي عليها شخصية عبده الصالح، حيث بيّن من خلال هذه المناسبة الاستثنائية والمحزنة في آن، التجليات العظيمة للعبودية الصالحة له، حتى تصبح هذه التجليات دروساً مثبتة في وعي التاريخ وتهدي كل السائرين إلى درب الله. لكن وآسفاه، فليس هناك

من بعـد أو بصيرة أو مجهر أو أي جهاز استكشاف يقـوى على سبر أغوار مقام العبـودية الخالصة التـي جسدها الإمـام، وخلوص النية التـي طبع عليها. ثمانون سنة من العبادة الخالصة، ثمانون سنة من المناجاة الليلية، ثمانون سنة من الرياضة الروحية والجهاد الأكبر والأصغر، ثمانون سنة من السير والعروج إلى الله . . . أين نحن من هذا المستوى الإيماني الرفيع.

ومع كل هذا الوصف المسهب، أقول أن المشيئة الإلهية قد اقتضت أن تكشف للعيان، بصورة قاطعة، ولـو لبضعة أيام وليال، أن قانون **﴿ومن نعمره ننكسـه في الخلق﴾** الـذي ينطبـق على الجميـع، مـن الممكـن أن يستثني بعض الأفـراد المتميزين الذيـن يوفر لهم **﴿الخلق﴾** القويـم الذي يتمتعون به والذوبـان الذي يعيشونه في ذات الحق من الناحيـة الباطنية، يوفر لهم مناعة تستعصي على الأمراض الجسدية، كما تستعصي على الموت والفناء. وإذا كان الإنسـان هو مصداق **﴿ومنهم من يـرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعـد علم شيئاً﴾** بشكل عـام، فإن الروح الإلهية التـي نفخها الخالـق عـزّ وجـلّ في خليفتـه على الأرض، مـن شـأنها أن تحفظـه مـن الانحطاط في **﴿ارذل العمر﴾**، ومن فقدان العلـم والوعي اللذيـن يتمتع بهما، فيقضي عمره حتـى اللحظات الأخيرة وهـو في قمة تجلي الشخصيـة الإنسانية والوسعة الروحية، وفي أوج التفاعـل مع المشاعر السامية، ومع كافـة المواهب والمعـارف الإلهية التي اكتسبهـا، وفي ذروة توجهـه إلى مبدأ الوجـود والمعاد والمعارف الحقـة. لذا، فهو ينطلق مـن معرفته المتكـاملة وقدرته الـواعية، ليحرق جدار الموت والزوال، ويحلق في الفضـاء الرحب اللامتناهي وفي أجواء العالم الأبـدي والملكوت الأعلى، ليلاقي وجه ربه، مبدأ الكمال والوجود.

كلما كان الإمـام يقترب أكثر من لحظـات الفراق والوحشـة، كلما كان اقترابه من الله يأخـذ طابعاً أوضح، وآثار وبينات حكمتـه ومعرفته الإلهية تسطع أكثـر، وصفاء وجهـه النيّر يشرق أكثر. وفي الوقـت الذي كـانت حالته الصحيـة تتدهور يوماً بعد يـوم، وساعة بعد ساعـة، وكان جسده المنهـك يضعف بصـورة أوضح، الأمـر الـذي يستوجـب حسب الحالـة المعتادة المزيـد من التـأوه والتألم والجزع، برزت شخصيـة الإمام المصقـولة وحقيقة إنسـانيته المتكاملـة التي غلّبت روحـه السامية على الجسـد وعالم الطبيعة، حيث بـات الجسم مجرد وعاء يسع تلك الروح. بـرزت وقدمت نموذجاً مختلفاً من التجلي والعظمـة. وبدل أن تسمع منه أصوات الآلام المحرقـة من الوجـع والتلوي، لم يصدر من فمـه سوى ذكر الله عـز وجل وبعض الأدعيـة التي يبث فيها شـوقه إلى بارئه. فهو لم يتعـود على إظهار المسكنة إلا أمام الله. وبدل أن تظهر إمارات الغضب والضيق على وجهه من أثر الحالة التـي هو فيها، كان يشع من قسماتـه المتلألئة، نور الإيمان والهدوء والاطمئنان.

لقد كان الإمام من النماذج المؤمنة الصادقة التي تنشغل بمحاسبة ذاتها في هذه الفانية قبل أن تقف يـوم الحساب حائرة بين يدي العدل المطلق، لا تدري مـا يفعل بها. إن روحـه المطمئنة وإن كـانت مـرتبطة بصـورتها الترابية التي فطرت عليهـا، في الظاهر، لكنها في الواقع كـانت قد تحررت من أسر الجسد وانقطعت تماماً عن كل الصور المادية الجذابة. لذا تراه قد اتصل بالله عز وجل، وشد رحاله للسفـر الطويل الطويل بقلب هادىء وروح مطمئنة وضمير مستأنس ونفس هانئة.

وخلاصة القـول أنه لم يتسنَ لأحد على الإطلاق أن يسمـع منه صرخة وجـع أو تأوه ألم، كما لم يـلاحـظ عليه أي عبـوس في الـوجه أو ضيـق في الصدر، بل عاش كل من كان حوله حالة من الوجد العميق فرضها عليه جو الدعاء والمناجاة والخشوع التي فـاحت في الفضاء، وحالة من التأمل العميق والتفـاعل الشـديد مع هـذه المعجزة الإنسانيـة التي تجسـد المقام المعنوي الرفيع والإيمان الجارف والعشق الإلهي المقدس.

إن هذا العبد الفقير، الـذي كان مكلفاً حسب تعليمات الإمـام نفسه بأن يعمل ضمن هيئة مكتبه، سعى خلال الفترة العصيبة التي ذكرت ألاّ يكلف الإمام حتى عناء رد السـلام. إلا أنه لم يستطع أن يحرم نفسه طوال الوقت مـن لقيا محياه الكريم، وألا يمتـع روحه بوصاله العطـر. لذا فقد عمد إلى مـراجعته يومياً كالمعتـاد حسب المواعيد المقـررة لإنجاز الأعمال المكتبيـة. وبعد الاستئـذان كان يعـرض عليه الملفـات الموجودة ويـدون الأجوبة والملاحظات التي تتلى عليه، وبعدها ينصرف مصحوباً بعبارات الدعاء والتسديد.

وفي إحـدى أيام الجمعـة، ذهبت إلى منـزل الإمام وبـذلت قصـارى جهدي ـ كما شرحت سابقاً ـ في ألا يسبب دخولي إلى المكتب أدنى ازعاج لخاطره الكريـم. فمشيت بخطى هادئة، إلا أن أحد الأصدقاء الذي كان جالساً عند سرير الإمام ومشغولاً بـأداء عمله، لاحظ قدومي فقال: لقد أتى السيد رحيميان. عندها اضطـررت لأن أتقدم نحو الإمام الذي فتح عينيه المباركتين ونظـر إليّ. ألقيت عليه التحية فـأجابني بوداعـة وصوت مرتجف. دعـوت له بطول العمـر والسلامة، فقـال بلهجة أبويـة حارة: **وفقك الله وسـدد خطاك**. ثـم توقـف عن الكـلام واسترخى على سريـره وأغمض عينيه وأخلد إلى النوم.

في يوم السبت، كثرت المراجعات إلى المكتب وتعدد الزوار. وفي نفس الوقت، كانت الأوراق والملفات قد أعدت كالعادة لكي يلقي الإمام نظرة عليها في ذلك اليوم. تلك الملفات التي بقيت دون انجاز حتى النهاية. بعد ظهر اليوم نفسه، اتصل أحد موظفي المكتب هاتفياً بمنزلي وطلب مني أن آتي سريعاً إلى منزل الإمام. بعد فترة وصل إلى المنزل رؤساء القوى الثلاثة بعد أن علقت جلسة هامة لمسؤولي الدولة. خيم الوجوم على وجوه الحاضرين واحتاروا حيال حقيقة ما يحدث. ثم طلب مني كوادر المكتب أن أتحرك بسرعة واستفسر عن حقيقة الأمر كي يعرفوا بالتالي ما يجري حولهم.

عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، وصلت إلى المستشفى فوجدت الجو ملبداً بالكآبة والقلق، والوجوه حائرة حزينة، وشاهدت الجميع جالسين في البهو. العيون كانت دامعة وألوان الوجوه شاحبة مصفرة، والصمت المطبق كان مخيماً على المكان. تساءلت ترى ما الذي حدث؟ تجمد الدم في عروقي وتراخت ركبتاي وبدأت دقات قلبي بالتسارع. ثم فقدت توازني قليلاً فجلست على الأرض لدقائق معدودة. تمالكت نفسي بعد حين ونهضت عن الأرض وتوجهت صوب الغرفة. وعندما دخلت، وجدتني أمام إحدى أصعب المواقف في حياتي، الإمام في حالة الغيبوبة. الأجهزة الطبية المتنوعة كانت تحيط به من كل جهة، جهاز التنفس الاصطناعي، جهاز تنظيم دقات القلب، وغيرها. الشعور الحاد بالقلق والحيرة لم يفارق الموجودين لحظة واحدة.

وعند المغرب، تلا الفريق الطبي المعالج تقريراً حول وضع الإمام الصحي. وسأل أحد الحاضرين مسؤول الفريق عن الاحتمالات التي

يضعها للأيام القليلة المقبلة. فأجاب بأن المسألة لن تستمر حتى الأيام المقبلة، بل تنحصر ضمن ساعات قليلة. كان وقع هذه الجملة على الحاضرين كالصاعقة، لكن مراعاة بعض المسائل فرض عليهم المحافظة على الهدوء. في تلك اللحظات الكئيبة، تضافرت جميع عوامل الحزن. من السكوت المملل، إلى سواد الليل المعتم، إلى التوقعات السيئة التي راودت الأذهان. أحسست بأن الجميع يكابدون أنفسهم ويعاندون مشاعرهم ويحاولون الخروج من بحر الغم المتلاطم هذا.

كل ما كنا نتمناه حينها، هو أن تصدر عن الإمام حركة بسيطة أو إيماءة عابرة أو رمشة عين واحدة.

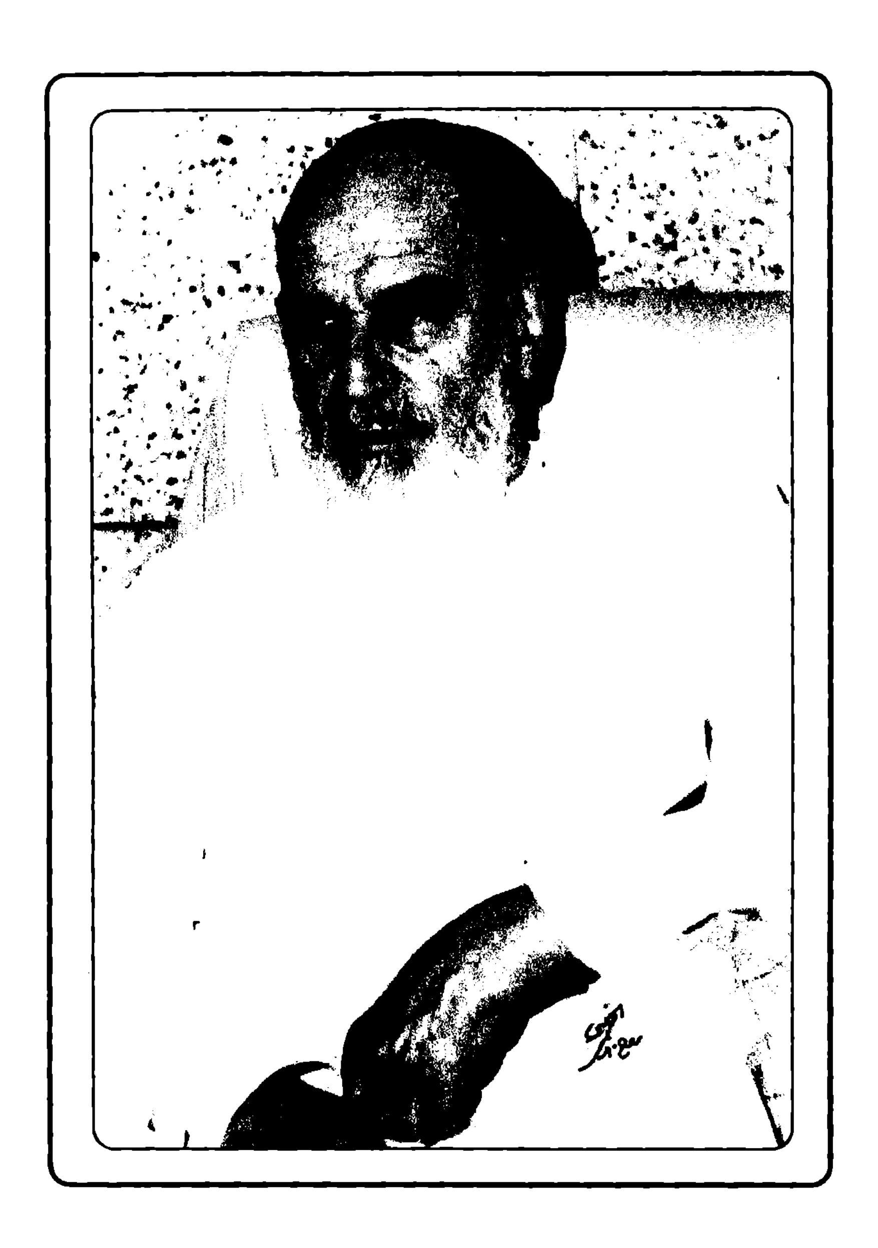
اللحظات الرهيبة كانت تمر أبطأ من أي وقت مضى، حتى دقت الساعة المروعة حاملة معها الحدث المرير. لم تكن الساعة قد استقرت على العاشرة والنصف ليلاً عندما وصل ضغط دم الإمام إلى الصفر حيث توقف قلب العالم الإسلامي النابض عن الخفقان. لا أظن أن القلم واليراع واللسان، تستطيع كلها أن تعبر عن هول المأساة التي حلت. مرت دقائق وصراخ التفجع يعلو في أرجاء المكان، والدموع الغزيرة تتفجر من المقل، إلا أن أحد المسؤولين الكبار خاطب الجميع وأخبرهم بأن الإعداد السليم من أجل إعلان هذا الحدث، يتطلب منا الإحساس بروح المسؤولية وضبط الأعصاب والتحكم بالمشاعر.

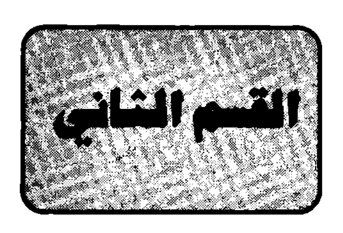
في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، نقلت الجنازة المطهرة إلى باحة المنزل، أي المكان الذي اعتاد الإمام أن يلتقي فيه جماهير الناس التي أحبته وعشقته، وذلك لإجراء عملية الغسل والتكفين. وعند أذان الفجر

تقريباً، كان العمـل قد انجز، فنقل الجثمان الطاهر إلى بـراد كان قد أعد خصيصاً لهذه الغاية، يقع بالقرب من المنزل والمستشفى في آن.

وفي الليلة التالية التي تقرر أن يصلى على الجثمان في اليوم الذي يليها، ذهبـت لكي أتشرف للمـرة الأخيرة بـزيارة الإمـام ورؤيـة وجهه المقـدس وتوديعه، فـوجدته كما لو كان حيـاً يرزق، بل أشد حضـوراً من أي وقت مضى. أمسكت بـرجليه اللتين لم تمشيا سوى في طـريق الحق، ولثمتهما ووضعتهما على عينـاي، ثم شممـت أريج وجهـه وقبلته للمـرة الأخيرة. طلبت منه أن يسامحني على أي تقصير بدر مني وسألته الدعاء واستأذنت بالانصراف.

هذه اللحظات الفريدة تشكل أكبر وأعظم، وفي نفس الوقت، أفجع وآلم خاطرة في حياتي. خاطرة لا أستطيع أن أعلق عليها أو أحاول وصفها بأي حال من الأحوال.





رعاية حقوق الناس

رعاية حقوق الناس

لقد اعتاد الإمام الخميني طوال المدّة التي قضاها في النجف الأشرف على التشرّف بزيارة مقام الإمام الحسين عليه السلام خلال بعض المناسبات الدينية الهامة التي تمر في السنة، حيث كان يقيم في منزل متواضع وضعه أحد الكويتيين في تصرفه.

في تلك الزيارات، كانت تقام صلاة الجماعة بإمامة الإمام الخميني في مركزين، صلاتي الظهر والعصر في نفس المنزل المشار إليه، وصلاتي المغرب والعشاء في حسينية آية الله البروجردي. الجماعة الأولى كانت تتم غالباً بمشاركة جمع محدود من الأصدقاء والمريدين، في غرفة الاستقبال الفسيحة، وأحياناً في باحة المنزل الخارجية عندما يكثر عدد المصلين. مساحة الباحة كانت تبلغ ٧ × ٧ متراً مربعاً، لكنها لم تكن مفروشة بالسجاد على امتدادها. لذا فقد عمد بعض المصلين إلى خلع عباءاتهم ومدها على الأرض، واستعمالها كسجادة صلاة.

عندما كان الإمام يخرج من باب غرفة الاستقبال إلى الباحة لتأدية الصلاة، كان مضطراً بسبب موقع الغرفة إلى العبور من وراء المصلين للوصول إلى مقدم الصفوف. لذا فقد انتبه الحاضرون لهذه النقطة، فحرصوا على فرش عباءاتهم بطريقة تداس معها بأقدام الإمام وهو يعبر الصفوف، وذلك لنيل البركة. إلا أن الإمام التفت أيضاً لهذا الموضوع، فحرص لذلك على السير بأسلوب معيّن وبخطوات منظمة بحيث لا يدوس على ثياب أحد من الناس أو عباءته، وقدم بذلك درساً عملياً لكل المقلدين والمؤمنين في رعاية حق الناس وعدم الاستهتار بأشياء الغير.

لا ينبغي طرد هؤلاء الأشخاص :

أحد النواب المعروفين والمقربين من الإمام الخميني، قام بعد إحدى زياراته إلى الإمام بكتابة رسالة مختصرة لجنابه حيث سلمني إياها وقال : لقد شرحت مضمون هذه الرسالة شفهياً لسماحته، فأشار عليّ بتدوين كتاب وتقديمه عبرك. أما الموضوع الذي تشير إليه الرسالة، فهو أن أحد الوعاظ المدركين المتدينين، قد حُكم عليه بخلع لباس الروحانية بسبب دعائه بالخير مرتين للشاه المخلوع في الزمن الغابر. إلا أن تأييده للثورة وترويجه لها، وعاطفته تجاه الإمام وحبه له، قد استوجبا إعادة النظر بهذا الحكم الصادر، ودرسه مرة أخرى. في اليوم التالي، اطلع الإمام على الرسالة، فأشار عليّ : (**أبلغ السيد أردبيلي عن لساني : إذا كان الواعظ المذكور من الأشخاص الذين تعرضوا للضغوط الشديدة التي فُرضت في ذلك العهد مما حمله على ارتكاب هذه الهفوة. وإذا لم يكن من الكوادر التي عملت ضمن أجهزة الشاه، وخَدمَتْها. وفي حال ثبتت طيبة سريرته، لا ينبغي معاملته بهذه الطريقة، كما لا يجوز أن نحاسبه على غلطة تندّم عليها لاحقاً. لذا لا أرى مصلحة في طرده**).

وقد نقلت توصية الإمام هذه إلى آية الله أردبيلي الذي عمل بها.

الدعاء لجند الإسلام :

حملت ذات يوم كمية من الأقمشة الصغيرة التي طُبعت عليها عبارات من قبيل (**الله أكبر**) و (**عشاق كربلاء**) و (**زحفاً نحو القدس**)، وكان من المقرر وضعها كعصبات على جباه المقاتلين المتوجهين إلى ساحات

الشهادة، وأخذتُها إلى الإمام وطلبت منه أن يتفضل بتبريكها وتعطيرها بيديه الكريمتين. وضع الإمام يديه داخل كومة الأقمشة وراح يتلو الأدعية السنية لتسديد وتوفيق جند الحق. ثم تركت غرفته لقضاء بعض الأعمال وهو على حاله من الذكر والدعاء.

لست سعيداً لسماع ذلك:

مع حلول عيد رأس السنة الفارسية (**النوروز**) الذي يترافق مع عطلة رسمية طويلة نسبياً، قرر أحد المسؤولين الكبار في مكتب الإمام وكان يتمتع باحترام كبير في الأوساط العامة، أن يذهب في إجازة مع عائلته إلى خارج البلاد، حيث أنجز كل الترتيبات الأولية لسفره، من تأشيرة الدخول إلى بطاقة السفر إلى غيرها من الأمور. ثم قصد المكتب في أول أيام السنة الجديدة كي يبارك للإمام ويستأذن منه للمغادرة في اليوم التالي. مرت لحظات صمت قليلة أطرق فيها الإمام للتفكير، ثم قال بصوت يشوبه لحن خاص: (**نسألكم الدعاء**). عندما سمع المسؤول هذا الجواب الذي اختصر ردة الفعل السلبية عند الإمام وبعدما لاحظ علامات عدم الرضا والسرور على ملامح سماحته وصوته المتهدج، قال بنوع من التسامح: إن كان ذلك لا يروق لكم، ألغي السفر. عندها أجابه الإمام بلهجة تمزج المزاح بالمرارة، قائلاً: (**الحقيقة أنني لست سعيداً لسماع أخبار سفراتكم المتعددة... على أي حال، رافقتك السلامة**).

إنتهت الزيارة وانصرفنا. وبعد ساعات من الحيرة والتردد، قرر صديقنا في عصر ذلك اليوم، الغاء سفرته المقررة غداً. اعتقدت حينها أنه طالما أن الإمام لم يعلن اعتراضه الصريح على الأمر واكتفى بعبارة

(لست سعيداً لسماع ذلك) للدلالة على عدم رضاه، وطالما أن عائلة المسؤول قد جهزت نفسها للسفر بشكل تام ويصعب عليها تقبّل فكرة الإلغاء، فإن رؤية الإمام له صبيحة الغد سيسبب لسماحته ضيقاً مما يحمله مجدداً على السماح له بالسفر، بالنظر إلى الظروف الاستثنائية للمسألة. لكن القضية أخذت منحاً مغايراً تماماً. عندما ذهبنا صبيحة اليوم التالي إلى المكتب وجلسنا بين يدي الإمام، أحسست وكأن الحديث الذي دار البارحة لم يكن، حيث لم ألاحظ أدنى تأثر أو ردة فعل على سماحته عندما رآنا معاً. وبناءً عليه، تُرى أي ضيق يشعر به الإمام، وأي ألم يعتصر قلبه الطاهر المقدس، عندما يلاحظ عدم التزام البعض بالأوامر الصريحة التي يقررها والنواهي الصريحة التي يعلنها.

أين عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم):

في صبيحة إحدى أيام الآحاد، قُدِّمت مجموعة من التقارير والدراسات والملفات إلى سماحة الإمام الذي عمد إلى مراجعتها وإبداء ملاحظاته عليها في الوقت الذي كنا ننشغل فيه بأداء أعمالنا الاعتيادية. في هذه الأثناء، وبينما كان الإمام يتصفح إحدى التقارير المقدمة إليه من إحدى المؤسسات الثقافية، نظر إلينا وقال: **(هل لكم أن تسألوا هذه المؤسسة لماذا لم تبدأ رسالتها بالبسملة؟)**. هذا نموذج بسيط عن دقة نظر الإمام وإحاطته بكافة جوانب العمل الذي يؤديه، حيث لم تفته أي شاردة أو واردة، بل كان يحرص دوماً على مراعاة الآداب الإسلامية الأصيلة والتأكيد على أهميتها.

إرجع إلى كتاب (توضيح المسائل):

بعد إنتهاء الدرس المقرر في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف، كنت أتمشى مع الإمام متوجهين إلى أطراف منزله، عندما خطرت في بالي مسألة شرعية معينة. أردت أن أغتنم الفرصة فسألته عن الموضوع. فأجابني على النحو التالي: **إرجع إلى كتاب (توضيح المسائل).** فوجئت بالجواب الذي سمعته واستغربته. لكن بعد فترة تأمل قصيرة، عرفت أن سماحته قد أعطاني درساً هاماً في توجيهه لي حول كيفية الوقوف على جواب المسألة الشرعية. إن من يتمتع بقدر معقول من موهبة البحث والتحقيق والمطالعة، سواءً كان من طلبة العلوم الدينية أو غيرهم من الأشخاص، ينبغي أن يصرف وقتاً معيناً في طريق الرجوع إلى المنابع والمصادر العلمية المعتبرة لكي يستخرج منها ما يريده، ولا يجب أن يستنكف عن بذل هذا الجهد والتعب الفكري. وهذا العمل من شأنه أن ينمي في نفسه روح المطالعة والاستقصاء والبحث، ويعلّمه الثقة بالنفس والاعتماد على الذات. أما إذا اعترضته بعض الصعوبات في هذا السبيل، فما عليه سوى الرجوع إلى من هم أطول باعاً منه في هذا المجال، وأن يراعي التراتب الموضوعي في عمله. أي أن يرجع أولاً إلى كتاب **(توضيح المسائل)** مثلاً، ومنها إلى كتابي **(التحرير)** و **(العروة)**، وبعدها إلى الهيئة الشرعية للاستفتاء على أقصى الاحتمالات. لا أن يقفز فوق المسائل، متخطياً المراحل الأولية المتاحة.

إسألوا مكتب الاستفتاء بشأن هذه المسألة:

هذه العبارة سمعناها مراراً وتكراراً من سماحته خلال سنوات الإقامة

إلى جانبه في جماران، تعليقاً منه على العديد من المباحث والأمور المطروحة. على سبيل المثال، نقل إليه سؤال شرعي عن لسان السيد كمال الموسوي الشيرازي حول شخص في عهدته قضاء صيام عدة أيام ولديه متسع من الوقت لايفائها. ترى هل يستطيع اللجوء إلى الصيام المستأجر؟

رد الإمام على السؤال بقوله: (**عودوا إلى الرسالة الشرعية**). ثم طرح سؤال مكرر من قبل السيد الموسوي مفاده أنه لم يعثر على جواب شاف في الرسالة المشار إليها. فأجاب الإمام: (**إسألوا مكتب الاستفتاء بشأن هذه المسألة**). وهناك نماذج كثيرة أخرى من هذا القبيل، بينت لنا ضرورة مراعاة سلسلة الأنظمة والقوانين، والتراتبية أثناء العمل واتخاذ القرارات، مما كان لها أعمق الأثر في تنمية هذه الروح بين الكوادر والمسؤولين. وفي حال وصل مكتب الاستفتاء إلى طريق مسدود فيما يتعلق بموضوع خاص، وعجز عن تقديم جواب صحيح، أو إذا نقل السؤال الشرعي عن لسان أحد أعضاء المكتب المذكور. عندها، كان الإمام يجيب على المسألة المطروحة عليه.

إتّبع سماحة الإمام أسلوباً عملياً يقتضي احترام الأنظمة والمقررات المرعية، والتقيد بالتراتبية في العمل، خلال تعاطيه مع كافة المسائل، خاصة بالنسبة للمواضيع الإدارية. تستثنى من ذلك بعض الحالات الخاصة التي كان يعلم فيها بأن هناك إدارة معينة، أو مسؤولاً معيناً، لا يقوم بإداء الواجبات المطلوبة منه، أو أنه يرتكب بعض المخالفات القانونية، حيث كان يتصدى للمسألة بحسب ما تقتضيه من القوة. حتى أنه في بعض الأحيان، عمد إلى التدخل المباشر من أجل ضمان المصلحة العامة، كما شاهدنا ذات مرة عندما تدخل في مجال بعض المسائل القضائية.

إلا أن التوجه الأساسي الذي حكم قراراته، كان يقتضي بأنه عندما تقرر التشكيلات الحكومية وضع شخصيات معينة وبعض الكوادر والمسؤولين في مواقع محددة، مع توفر عامل الثقة والاطمئنان تجاههم، لا يبدي رأيه الخاص في الأمور التي ترجع إليه في حال مجافاتها للتراتبية وسلسلة الأنظمة المرعية، حيث كان يقول بصراحة: (**هذا الأمر لا يتعلق بي، لماذا أرسل إلى هنا؟**).

وفي بعض الأحيان، كان يلتزم الصمت، أو يقول: (**راجعوا السيد فلان، المسؤول عن هذه القضايا**).

وسأورد في هذا المقام مثالين معبّرين عن أسلوبه هذا.

لماذا أرسل الطلب إلينا؟

ذات مرة، أرسل أحد مسؤولي جهاز التوعية السياسية والعقائدية في إحدى المؤسسات الحكومية، رسالة إلى سماحة الإمام شرح له فيها فكرة تأسيس صندوق للقرض الحسن. وبعد أن عدّد المزايا الايجابية التي يحملها المشروع، طرح طلباً للمساعدة والدعم من سماحته. فما كان من الإمام إلا أن قال: (**لماذا أرسل الطلب إلينا؟ هذه المسألة تتعلق بأجهزة الدولة**).

وما دخلي في هذه المسألة؟

أرسل أحد رؤساء إحدى المجموعات السياسية برقية إلى الإمام الخميني طالباً منه فيها، العمل على إطلاق سراح عدد من الكوادر التابعة له، من الذين كانوا قد اعتقلوا لأسباب معينة.

وصلت الـرسالـة إلى سماحته. وعنـدما اطلـع على مضمونها، علّـق قائلاً: **وما دخلي أنا في هذه المسألة؟ وهل تم اعتقالهم بإيعاز مني؟**



القسم الثالث

مثال الزهد والإستقامة

الإمام، مثال الزهد والإستقامة:

تعتبر الإستقامة والزهد من الوجوه الأخلاقية التي تتمتع بمفهوم شمولي، وبمراتب وأقسام متعددة، كما تتجلى من خلال نماذج ومصاديق مختلفة. من الممكن أن يتحلى أحد الناس بزهد تجاه مال الدنيا وزينتها، ولكن لا يتمالك نفسه أمام بريق الرئاسة والزعامة. ومن الممكن أن يزهد شخص آخر بالإثنين معاً، ولكن إرادته تضعف وتلين أمام الشهرة والأضواء والمركز الاجتماعي.

والنقطة المهمة الأخرى هي أن الزهد والاستقامة هما من الأمور الداخلية والخصال الباطنية التي تعكس نفسها على مرآة العمل وطريقة تعاطي الفرد مع المظاهر الدنيوية والأمور المادية. ومن الممكن أن يظهر المرء في مظهر الزاهد بشؤون الدنيا وزخرفها بدافع النفاق والرياء أمام الناس، بينما يبطن في سريرته الهدف نفسه الذي يجافيه على الملأ. أو أن شخصاً آخر تراه لا يرفل في متاع الدنيا وملذاتها لكونه عاجزاً عن تلبية حاجاته والوصول إلى أهدافه الدنيوية، بينما يفتقر في ذاته إلى الزهد والتقوى.

لذا فمن الممكن أن يمر إنسان فقير معدم لا يملك من الدنيا شيئاً، في حالة شغف بالظواهر المادية تعادل شغف أحد الأثرياء بماله وثروته وملايينه التي لا تحصى، حيث يشتد حرصه على ممتلكاته الزهيدة إلى درجة رهيبة، فيتعلق بثوب بال أو حذاء عتيق أو وسائل منزلية متواضعة، كأشد ما يكون التعلق.

من هنا نقول أن الزهد هو حقيقة نفسيــة وجدانية والزاهد الحقيقي هو من ينبـذ الدنيا ولا يشعر بـدافع يشده نحـوها ، سواء امتلك الإمكـانات اللازمـة من أجل الـوصول إليهـا أو لم يمتلك ، وسواء استطـاع أن يتنعم ببهارج الحياة ونعمهـا أو لم يستطع ذلك ، وسواء أقبلت عليه الـدنيا بكل ما تحمله من عوامل الإثارة والتشويق ، أو أدبرت عنه .

لقد كـان الإمام الخميـني إنسان متكـامل الجوانـب ، إرتبطت روحـه الساميـة بالله عزّ وجلّ وانفتحـت بذلك على أصـالة الزهد والاستقـامة . وبالرغم من أن الـدنيا قد فتحت له ذراعيها وتوفرت لـه الظروف المناسبة للوصول إلى كل مـا تشتهيه نفسه من معالم الرخاء والسطـوة والرفاهية ، لم يمش لحظة واحدة في هذا الطريق ولم يقبل على الدنيا ، بل ابتعد عنها إلى أقصى درجـة . إلاّ أن مشيئة الله عزّ وجلّ قـد إقتضت أن يصل إلى كـافة مظاهر الدنيا التي أقبلت ولم تبخل عليه بالشهرة والسلطة وحب الناس ، وكل الإمكانيات التي يشتهيها الإنسان . وهذه العطايا كلها كانت بمثابة إمتحان إلهي عسير، إلا أن الإمـام الذي استحوذ على كـل ما ذكـرناه على طـريـق الحق والاستقامـة وخلـوص السريـرة وخـدمة ديـن الله الحنيـف والنهوض بشعبه وأمته ، صرف أيضاً كل مـا أعطي في الطريق نفسه وعلى الطريقـة نفسها ، ولم يـلاحظ عليه أدنـى تعلق مهما صغـر قدره بـالأمور الدنيوية وأي إنجـذاب نحو أي مظهر مادي . ذلك أنه قـد سلم مفاتيح نفسه وقلبه إلى بارئهما ، وأودع روحه الطاهر عند المحبوب الأزلي ، ولم يعد يحسب أدنى حسـاب لذاته التي لم تشتاق إلاّ إلى الله عـزّ وجلّ ولم تطلب إلا الوصال معه .

*** ممتلكات الإمام الشخصية :**

أ ـ الأرض والمنزل :

كما هـو معلوم لـدى الجميع ، فـالإمام الخمينـي لم يكن مـن الناحيـة العائلية ينتمي إلى طبقة فقيرة بحيـث لا يحصل على إرث لجهة أبيه مثلاً ، كما لم يكن عاجـزاً من ناحية الإمكانـات المتاحة له عن الـوصول إلى حياة مرفهـة ، إلا أنه عمـد إلى منح الأرض التـي ورثها عـن والده إلى نفـر من المزارعين والفقراء ، كما أهدى الأمـلاك والبيوت المتعددة التي قـدمت إليه من قبل المؤمنين والمحبين والمقلدين بصفة هـدية أو نذورات وليس بصفة وجوه ومستحقات شرعيـة ، سواء قبل انتصار الثورة الإسـلامية أو بعده ، إلى الأفـراد المستحقين مـن العـاجـزيـن ، أو إلى المؤسسـات الخيريـة والإنسانية .

من جملة هذه الأملاك المهداة ، عدة بساتين كبيرة بلغت مساحتها عدة هكتارات كانـت قد قدمت إليه كهـدية من قبل بعض المريـدين ، فعمد الإمام بعـد استلامهـا إلى توزيعهـا على المزارعين الذيـن كانـوا يعتنون بها ، فانتقلت ملكيتها بالتالي إليهم .

لذلـك فإن المنزل الـوحيد الذي بقـي ملكاً لـه ، هو البيت المتـواضع الذي كان قد اشتراه أيام دراسته المبكرة في الحوزة العلمية في محلة (يختشال قاضي) في مدينة قـم . هذه المحلة التي كانت تعتبر في تلـك الأيام كأبعد نقطة سكنية عن قلب المدينة . وقد كان هذا المنزل طوال السنين السابقة ، سواء في الفترة التي شهدت إبعاد الإمام إلى النجف الأشرف أو بعد عودته المظفرة عنـد إنتصار الثورة الإسلاميـة ، بمثابة مـركز شعبي وطلابي يـؤمه

الناس وطلبة العلوم الدينية لمراجعة كافة الأمور الشرعية والمسائل الحياتية التي يهم كل واحد منهم.

بعد وصول الإمام إلى تلك القمة المتعالية من المجد واعتلائه لقلوب الجماهير، تعددت نوعية الهدايا التي كانت تقدم إليه، المنازل والأراضي الزراعية لتشمل الأموال النقدية، الذهب، الأشياء النفيسة، الكتب، المصاحف الخطية، اللوحات والأعمال الفنية الثمينة، الأقمشة النادرة، وأمثالها من الأغراض المعتبرة. وقد تكفل بتقديمها مجموعات من المحبين والمقلدين الذين عرفوا سمو قدره وجلال مكانته، على أساس أنها هدايا ونذورات. وعلى حسب علمي، فإن هذه الهدايا كانت المصدر المالي الأساسي الذي يؤمن تكاليف حياته الشخصية ومصروف بيته وعائلته. إلا أنه مع استمرار تدفق الهدايا والنذورات بصورة متزايدة على سماحته، وبالنظر إلى القناعة والاقتصاد اللذين حكما مصروف حياته وعائلته، لم يضع هذه الأموال الطائلة في عهدته الشخصية كما لم يوفر أي مقدار منها لنفسه، مع أنها ذات طابع شخصي محض حيث أنها قدمت من قبل المريدين لشخصه بالذات.

ب ـ اللوازم الحياتية:

بعض الهدايا التي كانت تقدم لسماحته، من قبيل الأقمشة المعدة لصنع العمامة، العباءة، والقمصان، ومثل سجادات الصلاة، السجدات، القلنسوة، الشال، الأحذية، والجوارب، كان يأخذ منها الضروري للإستعمال اليومي. أما الذي يبقى مكدساً، فـ: **أعطوها للأشخاص الذين هم بحاجة لها. ماذا عساني أفعل بكل هذه الأغراض؟**

وفي بعض الحالات التي كان سماحته يـأخذ فيها بعض الأغراض على أسـاس أنها لشخصه، كنـا نعلـم فيها بعد عـن طريـق الصـدفة أنها قـد أخذت بقصد إهدائها إلى أحد الأصدقاء أو المحبين. وعلى سبيل المثال، قدّم أحد المؤمنين الكـويتيين ذات مرة هدية إلى سماحته كانـت عبارة عن مجموعة من الأقمشة الثمينة التي تصلح لخياطة عدة قمصان. قبل الإمام الهدية وأودعها في غرفة المكتب. بعد عدة أيام، وبينما كنت أهم بالخروج من المكتب، سمعت الإمام يقول شيئـاً. إقتربت منه فكرر قوله: (**هناك غرض لـك خلف السـتارة، إذهب وتنـاوله**). ذهبـــت وإذ بي أرى أن مجموعـة الأقمشة إياهـا هي الغـرض المقصود. أخذت الهديـة وشكرت الإمام، ثم ذهبت أدراجي.

ج الكتب والأشياء النفيسة:

بـالنسبـة للهدايـا النفيســة التـي كـانــت من قبيـل الأشيـاء النـادرة والمصـاحف الخطيـة، فكنـا نسمع مـن سماحته دومـاً التـوجيه التـالي: (**ضعوها في تصرف من يستطيع الإهتمام بها والمحافظة عليها**). وفي بعض الحالات التي اختصت بـالمصاحف النادرة جـداً، كان يأمر بـوضعها في المكتبة الرضوية المقدسة في مـدينة مشهد. من المرات القليلة التي تصرف فيها الإمام بطريقة مغايرة حيث قال: (**ضعوها هنا**)، كانت تتعلق بلوحة فنية نفيسـة تمثل شمائل الـرسول الأكرم صلى الله عليـه وآله وسلـم. وقد رويت قصة هذه اللوحة في مناسبة سـابقة. أما الكتب التي كانت تهدى إليه من قبل دور النشر المختلفة أو من قبـل مؤلفي الكتب أنفسهم، فقد اعتـاد الإمـام على أن يتصفحهـا ويطـالعها بصـورة إجماليـة، ثـم يـأمـر بإعطائها: (**للذين بإمكـانهم الاستفادة منها**)، مـا عدا بعـض الحالات

المحدودة جداً والتي اختصت بكتب عرفانية جديدة الطبع ، فكان يأمر بحفظها في مكتبته الخاصة .

في بعض الأحيان، كانت تصدر كتب جديدة معادية للثورة ولقائدها الإمام الخميني، وتتضمن كميات هائلة من الأكاذيب والإدعاءات الباطلة والتهم والإفتراءات التي تحاول تشويه صورة الدولة الإسلامية ومؤسسها . لذا تعودنا أن نخفي هذه المنشورات الخسيسة عن سماحته لئلا تسبب له الضيق والأسى . إلا أننا فوجئنا ذات مرة بأن إحدى أسوأ هذه المؤلفات قد وصلت ليد الإمام عن طريق آخر لم نعرفه ، كما لاحظنا أنه لم تأخذه في الله لومة لائم حيث أن كيد الأعداء ودس المغرضين لم يستطيعا ترك أدنى تأثير سلبي على نفسه . ومن الطبيعي ألا تؤثر هذه الرياح العابرة على هذا الجبل الإيماني الأشم .

د ـ العينات النقدية :

القسم الآخر من الهدايا والنذورات التي فاقت في تدفقها وتنوعها كل الأنواع الأخرى حيث كانت تقدم إلى سماحته بشكل يومي تقريباً ، هو قسم العينات النقدية والذهب والجواهر التي إعتاد الإمام على تقبلها ، إلا في الحالات التي كان يلحظ فيها أن الطرف الذي قدم الهدية ينتمي إلى أسر الشهداء ـ سواء كان والده أو والدته أو زوجته أو ولده ـ أو أنه من الطبقات الفقيرة والمحرومة ، فكان يأخذ الهدية أولاً ويحتفظ بها ، ومن ثم يعمد إلى إعادتها قائلاً: (**أرجعوها إلى الشخص الذي قدمها**) .

في كثير من الأحيان ، عمدت عوائل شهداء القوات المسلحة التي كانت تخصص بمبلغ مئتي ألف تومان من قبل الجيش ، إلى إهداء المبلغ

المذكور لـلإمام إما حضـورياً أو بواسطـة سند مصرفي. بعد أخـذه المبلغ المُهدى، وبـدون النظر إلى الـوضع المادي للعائلـة المعنية، كـان سماحته يعيده فوراً إليها.

وعدا الحالات المذكورة التي تتعلق بالأمـوال المهداة لسماحته والمرجوعة إلى أصحابها، هناك حالات مشابهة شملـت بعض الأفراد الواقعين تحت ضغط العبء المادي. ونظراً لأسباب خاصـة لم يودوا تأمين حاجتهم عن طريق الحقوق والأمـوال الشرعية. لذا فكانوا يتقدمـون من الإمام بطلبات مساعدة من أمواله الخاصة.

من جملة هـذه الحالات، طلب أحد وكلاء الإمـام الخميني مني ذات مرة إبلاغ سماحته بـأن ولده الذي يتابع تحصيله العلمـي في إحدى الدول الإسلامية، دون الاستفـادة من أي منحة حكوميـة، استدان بعض المال وهو الآن في حـالة مـادية حرجـة جداً. وبما أن والده لا يـريد الاستعـانة بالحقـوق الشرعية، فهو يتمنـى على الإمام تخصيصـه بالمبلغ الفـلاني من أمواله الخاصة. في بداية الأمر، وجدت صعوبة في نقل هذه الرسالة لأنها تتعلق بمساعـدة تتمثل بالعملة الصعبـة التي لم تكن متوفـرة بكثرة لدى سماحته. إلا أنني أبلغته أخيراً بالأمر. وبعد أيام قليلة دُبر المبلغ المذكور، فسلمني إياه وقال لي: (**أعطه إلى السيد فلان**).

*** امكانيات الإمام الغير شخصية:**

لقـد بات القـاصي والداني يعـرف تمام المعرفـة، معالم الـزهد والـورع والإستقامـة التي طبعـت تعامـل الإمام حيـال مسائل الشهـرة والزعـامة والمرجعية، بحيث أن الخوض في هذا الموضوع يتطلب كتابة فصل مستقل

عنـه. على أي حال ــ ورغماً عن إرادتـه الخاصة ــ فقد إقتضـت الإرادة الإلهيـة أن يتربـع سماحتـه على قمـة لا تضاهـى مـن الشهـرة والمرجعيـة والمحبـوبيـة. ونظـراً لتصـدره بـاب الـزعـامـة والمرجعيـة المطلقـة لعـالم التشيع، وتزايد عـدد محبيه ومريديه، فقد تدفقـت سيول الحقوق والأموال الشرعية على مكتبه إلى حد بلـغ معه مجموع الرواتب الشهريـة التي تكفل الإمام بدفعها إلى الحوزات العلمية بالإضـافة إلى سائر المصاريف الشرعية الشهرية، حوالى المليار ونصف المليار ريال.

إن الجهاز المالي المتوفر لدى المرجعية الشيعية لا مثيل له في العالم بدون شك. ولا أظن أن هناك مؤسسة أو شخصية يوجد في تصرفها هذا المقدار الهائل من الأموال. هذه الأمـوال التي تدفع من قبل أصحـابها عن طيب خاطر كإداء للواجب الشرعي الإلهي الملقى على عاتقهم، بحيث لا يشعر المرجع الـديني بأي حـرج أو منة تقع عليـه بسبب ذلك. بـل إن الطرف الآخر هو الذي يقـدم الشكر على تقبل أمواله لأنه يعرف أنه بـذلك يرفع التكليـف الشرعي عـن نفسـه ويبرىء ذمتـه، فتصبح مسـؤوليـة صرف الأموال في عهدة المرجع. هذه الطريقة المثلى هي التي تحكم تعامل المرجع الدينـي مع سـائر الذين يقـومون بدفـع الحقوق الشرعيـة. وأي اختلاف يلحظ في هذا المجال، يعتبر خروجاً عن المنهج السوي المتبع.

*** الإهتمام الخاص بالمزارعين.**

من المسائل الجديرة بالذكر في هـذا المجال، هي قصة الأرض الزراعية الواقعـة بالقرب مـن إصفهان والتي قـدمت إلى الإمام كحقـوق شرعية، حيث كُلف أحـد الفضلاء من قبل سماحته بأن يكـون وكيلاً على القطعة

لبيعها و إستلام ثمنها. بعد مدة قصيرة، تناهى إلى سمع الإمام أن السيد فلان الذي عمل بوكالته قد باع قطعة الأرض المعينة واستلم ثمنها، إلا أن المزارعين العاملين هناك يعانون من أوضاع صعبة جداً. لذلك فقد قصدوا منزل شقيق سماحته، السيد بسنديده، وأخبروه بما سيحل بهم إذا أخذت الأرض منهم. وما كاد الإمام يسمع هذا الحديث المؤثر المنقول عن المزارعين، حتى أمر بنبرة حازمة قاطعه: **لتنتقل ملكية الأرض إلى المزارعين، نفذوا هذا الطلب بسرعة.**

*** الاهتمام الخاص بالمناطق المحرومة:**

لقد وضع الإمام الخميني قدس سره، نظاماً مالياً خاصاً لوكلائه المكلفين باستلام الحقوق الشرعية ووضع اللوائح الخاصة بها، يقضي بصرف ثلث الأموال الشرعية فقط في المناطق والنواحي القيمين عليها، وإرسال الثلثين الباقيين إلى مكتب سماحته من أجل صرفها على الحوزات العلمية وفي سبيل إعلاء كلمة الله. أما في المناطق النائية والمحرومة، فقد عكس سماحته القانون إياه، بحيث باتت ثلثي الأموال تصرف على تنمية تلك الأنحاء، بينما يرسل الثلث الباقي إلى المكتب الشرعي. وفي المتاطق التي كانت تعاني من حرمان شديد، سمح الإمام لوكلائه بالتصرف التام بكل الأموال التي يجمعونها بشكل تصرف فيه على المساعدات الشرعية المعروفة، وعلى تلبية حاجات الفقراء الملتزمين. هذا النظام المالي انسحب أيضاً على كل وكلاء سماحته في كافة الأقطار الإسلامية. ومن جملة هذه الأقطار، لبنان. إذ أنه بالإضافة إلى الإجازة الشرعية الخطية التي نصت على صرف ثلث أو نصف الحقوق الشرعية على مناطق تواجدهم، فإن علماء أمة حزب الله كانوا يتمتعون بإجازة شفهية تعطيهم حق التصرف

بثلثي الأموال الشرعية. أما الثلث الباقي الذي كان يرسل إلى المكتب، فكان يرجع بأمر من سماحته إلى لبنان مجدداً. كما أن السادة العلماء في لبنان عملوا على تأسيس صندوق (**بيت مال المسلمين**) الذي تولى صرف الأموال العامة في إطار المقررات الشرعية وفي سبيل المصلحة الإسلامية العليا وخدمة المؤمنين الذين يستحقون المساعدة فعلاً. وفي نهاية كل عام، إعتدنا على استلام تقرير مفصل يتضمن بياناً بكافة النشاطات والخدمات التي أداها الصندوق المشار إليه.

وأكثر من ذلك، فقد أعطى سماحته إذناً لوكلائه في المناطق المحرومة والمستضعفة على وجه الخصوص، يقضي بأن يُنظر في حالة عوائل الشهداء، حرس الثورة، المقاتلين، وكل الذين يعملون في خدمة الإسلام بشكل عام، عندما يتقدمون لتأدية الواجبات المالية المترتبة عليهم. فإن تبين أنهم ذوي أوضاع مادية سيئة، وإذا إقتضت الضرورة، يُعمد بعد إجراء الحسابات الشرعية الدقيقة إلى تبرئة ذمتهم من هذه الناحية. وهذا الأسلوب إتبعه الإمام بنفسه في كثير من الحالات المشابهة.

*** القناعة والزهد عند الإقتدار:**

بعد هذا العرض المتواضع، يهمني أن أشير إلى أن الإمام الخميني، قد وضعت في تصرفه خلال فترة مرجعيته وزعامته برمتها، مئات المليارات من الريالات من باب الحقوق الشرعية. وعلاوة على ذلك، فإنه من موقع ولاية الأمر وقيادة الأمة الإسلامية، وزعامة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كان ولياً وقيماً على كل مخزونات الأموال ومصادر الثروة الطبيعية ومليارات المليارات من الأموال التي لا تعد ولا تحصى، وغيرها من أصناف الخيرات

المتنوعة. مع كل ذلك، فإن هـذا الإنسان المتكامل، العارف، الحكيم، والسالك إلى الله، لم يحاول الاستفادة ولو في أدنـى الحدود والمقاييس، من القدرة الشرعية الكاملـة أو القدرة السلطوية للدولة والنظـام، وما تتيحاه له مـن حريـة في اتخاذ القرار، للوصـول إلى مكاسب مـادية خـاصة، أو أهـداف شخصية ضيقـة، أو امتيـاز يحمل طـابعـاً ذاتياً. وعلى نقيـض ذلك، فقد عـاش حياته بأسرهـا في جو متواضع يعبـق بالزهد والقنـاعة والبساطة، وقضى سحابة عمره طاهراً مطهراً مرتاح الضمير.




القسم الرابع

*** أعظم إنسان في أبسط منزل :**

أقام الإمام الخميني طوال المدة التي قضاها في النجف الأشرف، في منزل متواضع صغير يقع في إحدى تفرعات حي (شارع الرسول) الضيقة، مثل المئات من طلبة العلوم الدينية المبتدئين، الذين يستأجرون بيوتاً في تلك المنطقة. وبعد إنتصار الثورة الإسلامية، سكن في الفترة الأولى في منزل عادي في مدينة قم، ومن ثم انتقل إلى طهران حيث أقام لمدة عشر سنوات في منطقة جماران. أما المنزل الذي سكن فيه، فهو عبارة عن بيت قديم البناء يخص السيد إمام جماراني الذي ورثه عن أبيه وقسمه إلى عدة شقق صغيرة، ووضع إحدى أقسامه تحت تصرف عائلة الإمام. وهناك جناح آخر منه بلغت مساحته ١٢٠ متراً مربعاً مع طابق سفلي بمساحة ٧٠ متراً مربعاً، يعود للسيد حسن الحسيني صهر السيد جماراني، حيث إستأجر سماحته هذا الجناح أيضاً. هذا البيت الصغير، البسيط، والمتواضع الذي يشبه بيوت الكثير من المستضعفين، شاهدناه جميعاً إما عن كثب، وإما عن طريق شاشة التلفزيون، عبر عقد من الزمن. هذا المكان المتواضع، ضم بين جدرانه إنساناً عظيماً تربع على عرش مئات الملايين من القلوب الوهانة، والأفئدة المشتاقة، وحكم مشاعر جماهير المسلمين والمستضعفين في العالم. ذلك الإنسان الذي إستند إلى صلابة إيمانه وصلته الوثيقة بالله عزّ وجلّ، ليهز عروش القوى الشيطانية الكبرى في هذه الدنيا.

إن عظمة حياة الإمام البسيطة، وسمو تقواه واستقامته، يتجليان بصورة أنصع وأكثر إثارة للدهشة والاستغراب، للأشخاص الذين

سنحت لهم الفرصة لرؤية الجبارين والمستكبرين من حكام العالم من قريب، ومشاهدة مظاهر الأبهة والفخامة التي تنطق بها القصور الأسطورية التي يعيشون فيها. في إحدى الأيام، حضر إلى مركز جماران جمع من رجال الصحافة والأعلام الأجانب. أحد هؤلاء الصحافيين، وكان أميركياً على الأرجح، بدت عليه إمارات التعجب والاستغراب من المنظر الذي شاهده في منزل الإمام ومركز عمله. ومع أنه شاهد كل شيء بأم العين، بدا وكأنه لا يصدق ما تراه عيناه. لذا راح يفتش في أرجاء المنزل علـه يجد شيئاً غير عادي، وباتت هذه المسألة شغله الشاغل في تلك اللحظات. ثم راح يفتش عن شخص ما يستطيع أن يسأله عما يخطر في باله، كي يسوي المشكلة التي راودت ذهنه، ويحل اللغز الذي شغله. وما أن وقعت عيناه عليّ، حتى فتح معي باب الحديث بطريقة حميمة جداً. لم أفهم لغته، ولكن لسان حاله كان ينطق بما توجد في نفسه من أحاسيس. وبعد لحظات، أقبل علينا أحد المترجمين ليقوم بدور الوسيط بيننا.

إحدى الأشياء التي لفتت نظر هذا الصحافي، هي الغطاء المعدني الذي كان قد وضع فوق الباحة الصغيرة التي تتقدم منزل الإمام، كي يقف سداً أمام برد الشتاء القارس وحر الصيف الشديد، حيث مُدت عليه قطعة قماش طويلة. سألني: ما سبب وجود هذه القضبان والأعمدة؟ ترى هل هي حواجز مكهربة أم ماذا؟ ثم سأل: هل هذا هو بيت الإمام بجد؟ مع سماعه لجوابي ازدادت حدة تعجبه واندهاشه. ثم سردت له أمراً لم يكن ليخطر أبداً على ذهنه الصحافي، والفضول الذي يشتعل فيه. أوضحت له أن هذا البيت المتواضع ليس ملكاً لسماحته،

بل هـو مستأجـر. ازدادت حيرته عندهـا . وبالرغـم من إحسـاسي بعدم تصديقه للأمر، بـدت عليه علامات التأثر الشديد ممـا سمعه وشاهده. تغير لونه وبات في حالة نفسية غريبـة ، وراح ينظر حوله وكأن آفاقاً خفية قد نشرت ظلالها أمـامه ، ولمحت الدموع وقد تجمعـت في عينيه. بعد أن عـرف هـذه المسـألـة ، أي كـون البيت مستـأجـر، وهـي فكـرة لم يكـن باستطاعته التعبير عنهـا بقلمه وآلة تصويره، تقدم منـي بالشكر الجزيل وودعني دون الحاجة إلى من يترجم لسان حاله.

والحقيقة، هي أن كـل خصوصية من خصوصيـات الإمام الخميني، والتي هي في الواقع صور تجسد عظمـة الإسلام وتجليات الإمامة والقيادة الصالحة مـن خلال الحكـومة الإسلاميـة، عندما تقـارن بكافـة الأنظمة السياسية الأخرى وأساليب القادة الآخـرين، تعطي الدليل الساطع على أحقية الإسلام وأفضلية النظام الإسلامي القويـم، لكل من يتمتع بشعور إنساني وفكر حر وضمير يقظ.

الإمام، أفضل مستأجر عرفته :

مـن المفيـد في هـذا المقـام أن أشير إلى قضيـة تتعلـق بسكـن الإمـام كمستأجـر لبيوت الآخريـن، حيث نلاحظ مـن خلالها الإلتزام الشـديد الـذي أبداه سماحتـه تجاه الأحكـام الشرعية ورعـايـة الموازيـن الدينيـة، خصوصاً تجاه حقوق النـاس وممتلكاتهم، كي نأخذ منها أسـوة عن كيفية تعامل المستأجر المثالي مع المنزل الـذي يقطن فيه. ومع أن صاحب المنزل كان من مقلدي الإمام ومحبيـه إلى درجة لا توصف، بحيث اعتبر أن مجرد وجود سماحته في منزله، هو أكبر وسام شرف يناله في حياته، إلا أن الإمام

كان يلتفت إلى الأحكـام الشرعية الخاصة، كأي فرد عـادي لا تربطه أي علاقة مميزة بصاحب الملك.

ذات مرة، إرتـأت إحدى الفـرق الإعلاميـة التي كـانت تقـوم بتغطية اللقاءات الرسميـة المختلفة التي كان يجريها الإمام، والبيانـات التي كان يوجهها سماحته في المناسبات المتنوعـة إلى الأمة من غرفة عمله، إرتأت أن يعمد إلي استحداث ثـلاثة ثقوب صغيرة بمساحـة ٥ × ٥ سنتميتراً مربعاً في سقف الغـرفة المذكـورة، كي تسمح بـدخول النـور الكافي والمنـاسب لعمل الأجهزة والكاميرات. في اليوم التالي، عندما تشرفت كالمعتاد بزيارة الإمـام صباحـاً، بـادرني بعـد السلام إلى القـول بلهجـة خشنـة حازمـة وبملامح منـزعجة متألمة: (**ما هـذا العمل؟ لماذا أقـدمتم على مثـل هذا التصرف؟**). أخبرت سماحته بأن تـأمين النور الكافي هو الـذي استوجب ذلك. أطرق سماحته قليلاً للتفكير وقـال بلهجة مريرة: (**لماذا بادرتم إلى هذا التصرف دون أخـذ إذن مسبق من صاحـب المنزل؟**) بعد ردة الفعـل العنيفة هذه، وقفت على الخطأ الـذي وقعنا فيه، وعملت على التخلص من الثقوب المستحدثة، وإعادة حالة السقف إلى ما كانت عليه سابقاً.

بعد أن انصرفنا من غرفة سماحته، أخبرني السيد صانعي، وهو الذي قضـى عشرات السنين في إتصـال مبـاشر مـع الإمـام، وعـايشـه عـن قرب، بالتالي: طوال فترة معرفتي للإمام، لم أشاهده على هذه الدرجة من الإنفعال وإنزعاج الخاطر، إلا في مرات قليلة معدودة.

*** تعرف الأشياء بأضدادها:**

هناك نقطة أخيرة أود التطرق إليها لأنها تظهر جانباً جديداً من جوانب

الزهد والاستقامة في شخصية الإمام الخميني. وهي أن سماحته بعدما قضى السنين الطويلة في تحصيل العلوم الدينية، وبعد الجهود المضنية التي بذلها في سبيل التدرج في المعارج العلمية والعرفانية، وبعد كل تلك المؤلفات الجمة العميقة الفريدة التي تناولت مختلف المواضيع الإسلامية والأخلاقية، لم يظهر أي اهتمام خاص أو تعلق ملفت للنظر بكتبه وتأليفاته، حتى أنه لم يبدِ حرصاً على نشرها وتوزيعها. عندما نقارن هذا الموقف بالطريقة التي يطرح فيها البعض كتبه أو دراساته أو حتى مجموعة مقالات بسيطة عائدة له، حيث يحرص دوماً على الإعتناء بطبعها وشكلها، والتمهيد لها بمقدمة فخمة تتضمن لائحة بالمؤلفات التي سبق له أن كتبها، ندرك جلياً إحدى الخصوصيات السامية الأخرى التي يتمتع بها سماحته، وإحدى التجليات التي تبين عمق زهده وتقواه. ويحضرني هنا القول الجليل التالي: (**تعرف الأشياء بأضدادها**).

لقد اعتاد الإمام دوماً على القول لطلابه في الحوزة العلمية، أثناء حلقات الدرس والبحث، التالي: (**إذا خطوتم خطوة في طريق تحصيل العلم والمعرفة، فينبغي أن تخطوا خطوتين في طريق تهذيب النفس وتربيتها**). وقد شق الإمام طريقه في مناهل الحياة على هذه الشاكلة. ولهذا فقد إخترق حجاب العلم واجتاز طريق العروج ووصل إلى المقصود. وحلق من مشارف علم الأخلاق إلى ذات الأخلاق، ومن منابع علم الحكمة إلى ذات الحكمة، وتربع على عرش العرفان المتألق.

*** طبع مؤلفات الإمام:**

لقد ارتبط الإمام الخميني طوال سنين عمره الشريف بالحق سبحانه

وتعالى، وعاش الزهد والإستقامة بأسمى معانيهما. لذا فلم يفقد الثقة بنفسه ولا استسلم لليأس والقنوط حين نالت يد الشر الآثمة من مؤلفاته وتمكنت من إخفائها، كما لم يبالغ في إبداء الفرح والسرور حين عادت إليه من جديد. بالإضافة إلى ذلك، لم يظهر لأي كان، رغبته في طبع مؤلفاته ونشرها، كما لم يسع لتحقيق هذا الأمر حتى في أضيق الحدود والإمكانيات. أما كتبه التي طبعت ونشرت، فقد أبصرت طريقها إلى الانتشار إما عبر الإصرار الذي مارسه الآخرون والخطوات العملية التي مهدوا لها، أو عن طريق نخبة من تلامذته الذين واظبوا على نسخ الدروس التي كان يلقيها سماحته، حيث احتفظوا بنسخ خطية منها. وباتت تنتقل من فوج إلى فوج منذ قديم الأيام، إلى أن استقرت في أيدي مجموعة طلابية عملت على جمعها وتصويرها ودفعها إلى مرحلة الطباعة. إلا أن هناك مجموعة من المؤلفات النفيسة التي أبدعها قلمه الشريف، لم تطبع حتى الآن. ومع الأسف الشديد، فإن عدداً منها قد فقد في خضم التطورات والأحداث التي شهدتها حياة الإمام. ويحدونا الأمل بأن يعمد كل شخص أو جهة تحتفظ بهذه الآثار لأي سبب من الأسباب ــ ومن أهم هذه الآثار، التعليقات والحواشي التي خطها سماحته حول الأسفار ـ إلى الإعلان عنها وعدم التسبب بحرمان المجتمع الإسلامي والأوساط العلمية من هذه التحف الخالدة، وذلك بوضعها في تصرف (**مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني**)، كي تنال بذلك شرف خدمة العلم ودعاء القلوب المؤمنة. ويهمني أن أشير هنا إلى أن هذه المؤسسة هي في صدد جمع التعليقات المشار إليها وطبعها، ومن ثم طبع المجموعة الكاملة لآثار الإمام ضمن سلسلة متصلة، حيث قطعت شوطاً مهماً في هذا المجال،

وتخطت المراحل الأولية من المشروع. نسأل الله عزّ وجلّ أن يوفق هذه المؤسسة ويسدد خطاها من أجل إداء هذه الخدمة الكبرى للثقافة الإسلامية والمعارف الدينية.

*** الرسائل العملية (الفقهية):**

لقد إتبع الإمام أسلوباً خاصاً ومنهجاً متميزاً عن المفهوم الرائج للرسائل العملية التي تصدرها المراجع الفقهية. وقد عرفت عن كثب إحدى الحالات التي أصدر فيها أحدهم رسالة فقهية عملية، بالإضافة إلى تهيئة حواش على الرسائل الفقهية، قبل أن يصل إلى درجة المرجعية، وحتى قبل أن تبدأ عائلته بتقليده، حيث أشرف شخصياً على طبعها وترجمتها إلى عدد من اللغات الأجنبية أيضاً.

أما سماحته، فلم يسع لنشر رسالته العملية إلا بعد أن استقرت الزعامة الروحية والمرجعية الدينية، بمشيئة الله تعالى، عليه، وبعد الإلحاح والإصرار الذي مارسه الكثيرون، وذلك بسبب زهده بالشهرة والرئاسة. لذلك فلم يقبل عليها، بل أتته هي طائعة راغبة.

وبالنسبة لطبع الرسالة العملية، فلم يتبع سماحته السُّنة المعمول بها، والتي تقتضي طبع الرسائل على نفقة بيت المال والحقوق الشرعية، ومن ثم توزيعها على الناس مجاناً وعلى نطاق واسع. إذ أنه لم يسمح أبداً باللجوء إلى الأموال الشرعية من أجل طبع رسالته العملية. كما لم يسمح، بصورة عامة، بتوزيعها مجاناً على الناس.

هناك الكثير من القصص المعبرة عن رأي الإمام القاطع حيال هذه المسألة، والتي لا يتسع المجال لسردها في هذه العجالة. على سبيل

المثال، أذكر ذات مرة عندما زار والـدي سماحة الإمام. وبعد المجاملات الإعتيادية، راح يشرح لسماحتـه مسألة كثرة المقلدين، وحـاجتهم الماسة إلى رسـالة عمليـة يـرجعون إليهـا. ثم حـاول إقنـاع الإمام بضرورة طبـع رسالته. استمع الإمام لكلام الوالـد حتى النهاية، ثم قال بلهجة صريحة خالية من المجاملة: (**أرى من الأنسـب أن توجه حـديثك هـذا إلى أحد أصحاب المكتبات**).

عند سماعه هذا الجواب القاطع، تأثـر والدي بشدة وتألم، لأنه سمع كلاماً لا ينسجم أبداً مع الطريقـة المعمول بها في هذا المجال. إلا أنه بعد أن تعمق فيما سمـع وتدبر الأسلوب الجديـد الذي إتبعه الإمـام، وتعرف على المعايير الإلهية التي يحتويها، تغير إنطباعـه وإزداد إعجابه و إخلاصه لسماحته إلى حد كبير.

لقد إتبع الإمام الخميني الأسلوب المذكور وعمل على تثبيته وتوطيده في ظروف شهـدت الكثير من الأسـاليب المغـايرة التـي عمل بها الآخـرون، حيث شاهـدت بنفسي بعضها. وتفصيل ذلك أنه عندمـا ألم المرض بآية الله الحكيم، رحمه الله، وانتقـل على أثر ذلـك إلى لندن للمعـالجة، كنت حينها في إحدى إمارات الخليج ضيفاً في منـزل أحد علماء الدين، حيث رأيت مشهداً أثار دهشتي واستغرابي. رأيت إحدى الغرف وبعض الزوايا الأخرى مـن المنزل قد امتلأت حتـى السقف بأعـداد هائلة من الـرسائل العملية العائدة لبعض العلماء. ثم عرفت أن هذه الرسائل قد أرسلت إلى ذلك البلد كـي توزع بصورة مجانية بين الناس، بعد وفـاة آية الله الحكيم. والجدير بـالذكـر أن العالم الروحـاني الذي كنت في ضيـافته، لم يكـن قد حصل حتى ذلـك الوقت على نسخة واحـدة من رسالة الإمـام العملية،

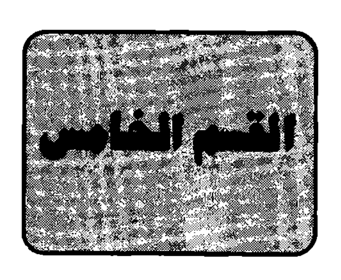
بالرغم من كونه أحد مقلديه .

في إحدى المرات ، كنت في منـزل أحد مدعي المرجعية الدينيـة عندما أقبل أحـد المسلمين الباكستانيين . وتبين مـن خلال الحديـث ، أن الزائر هو من مقلدي الإمام قدس سره . بالرغم من ذلك ، رأيت بأم عيني ذلك العالم وهو يأتي برسالته الفقهية ويعطيها لزائره .

وقد صادف عـدة مرات أن زارنا بعض الأشخـاص ، من العلماء وغير العلماء ، الـذيـن اعتادوا على السنـة الـرائجـة التـي أشرنا إليهـا . وبعـد مراجعتهـم لمكتب الإمـام ، كانـوا يطلبون تـزويدهـم بنسخ مـن رسالتـه العملية . وعند سماع جوابنا ومفاده أنـه ليس لدينا أي منها ، وأننا نشتري الرسالة من المكتبات مثل بقية النـاس إن إحتاجها أحد منا ، أو إذا لزمت لشؤون المكتب من أجل الإجابة على المسائل الشرعية ، وحتى إذا احتاجها سماحته شخصياً ، كانـوا يذهلون لذلك . وبالنسبة لبقيـة مؤلفات الإمام المطبوعة ، فقـد شملها هذا الأسلوب أيضاً . حتى أن سماحتـه كان يعمد إلى استعارتها منا عنـدما يضطر للرجوع إليهـا ، ومن ثم كان يعيـدها إلينا بعد قضاء حاجته .

والمسـألة المهمـة الأخيرة في هذا المجـال ، هـي أن سماحته كـان يعتبر توزيع الكتب على الناس بصورة مجانية ، أو بسعر زهيد جداً ، أو بقيمة لا تعـادل سعر الكتـب المتداولـة في السوق ، بمثـابة ضربـة معنويـة توجـه للكتاب وتنال من شأن مؤلفه . لذا فكان يخالف هذا الأسلوب بشدة .





بين يدي أمير المؤمنين (ع)

*** التشرف بزيارة مقام أمير المؤمنين(ع):**

لقد واظب الإمام الخميني طوال مدة إقامته في النجف الأشرف والتي بلغت أربع عشرة سنة، على زيارة مقام أمير المؤمنين عليه السلام، كل ليلة بعد مرور ثلاث ساعات على غروب الشمس وخلال كل فصول السنة، حيث كان يقطع المسافة التي تفصل بين منزله وبين الحرم المطهر في مدة لا تتجاوز السبع دقائق، مشياً على الأقدام. اعتاد الإمام على الدخول إلى الباحة الخارجية للحرم من الباب الذي يطل على إتجاه القبلة، قاصداً بعدها الزاوية الجنوبية حيث يخلع نعليه ويقرأ عبارات الإستئذان، ويهم عندها بالدخول إلى الحرم الشريف. في البداية، كان يقف لجهة رجلي أمير المؤمنين (ع) حيث يتلو دعاءً مختصراً، ومن ثم ينتقل إلى الطرف الجنوبي للضريح، مقابل صورة أمير المؤمنين عليه السلام، ويتلو دعاء زيارة أمين الله. وعلى خلاف الجميع، حيث جرت العادة أن تكمل الدورة حول الضريح باتجاه موضع الرأس الشريف، واظب سماحته على العودة من تلك النقطة إلى الموضع السابق، ومنه إلى خلف الرأس المطهر، حيث كان يجلس على الأرض ويصلي صلاة الزيارة، ومن ثم يتلو دعاء الزيارة الجامعة.

*** الإلتزام بالزيارة:**

التزم الإمام الخميني طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، أي خلال فترة ناهزت الأربع عشرة سنة، على زيارة مقام أمير المؤمنين عليه السلام، ليلياً وبصورة مستمرة. ولم يتخلف عن الزيارة إلا في حالات محدودة

جداً، انحصرت في الأيـام القليلة التي كان يتشرف فيهـا بزيارة كـربلاء، وفي حالات المرض الطارىء التي تستوجب تجميـد كافة النشاطات، من حلقات الدرس إلى صلاة الجماعـة إلى استقبال الضيوف والمحبين. إلا أن هذه الـوعكات الصحية قليـلاً ما ألمت به والحمـد لله، وبالتالي فـإن أيام التغيب كانت قليلة جداً. نلاحظ هنا أن معظم الأشخاص الذين ينالون سعادة الإقامة بقرب أضرحة الأئمـة والعتبات المقدسة الأخرى، يشعرون مع مرور الأيام بأن المسألة باتـت عادية. وقد تمر عليهم أسابيع أو شهور دون أن يتشرفوا بزيارتها، وذلك رغم حبهـم العميق وإخلاصهم الوثيق. إلا أن الإمام، وانطلاقاً من عشقه الـذي لا يوصف لمقام الولاية الكبرى، ومن النظام الدقيـق الصارم الذي أخذ به نفسه في مختلـف شؤونه وأعماله الخاصة، وضع الزيـارة ضمن برنامجه اليومي، شـأنها شأن صلاة الجماعة والدروس الحوزوية، ولم يترك مجالاً للأعـذار والمستجدات الطارئة لتشغله عنها، فتلغـي ترابطه اليـومي مع أمير المؤمنين. ومن الجديـر بالذكـر أنه عندما كان سماحته يضطر إلى إلغاء زيارته لإحدى الأسباب المشار إليها، كنا نعرف أنـه يقوم بتأدية شعائر الـزيارة وأدعيتها داخل غرفتـه، وأحياناً وهو ممدد على سريره.

*** نقطة الضعف!!**

إن المسألة الهامـة والمؤسفة في آن، التي أود ذكرها على هـامش إحدى التجليـات المعنويـة التـي إلتصقت بـالإمام، هـي قضيـة عملاء جهـاز استخبـارات الشاه المخلـوع الذي عـرف بـاسم (السـافاك)، وغيره مـن الأدوات الجاسوسيـة التابعة للشرق والغرب، مـن المعاندين والمأجـورين وضعاف النفوس، الذين لبـسوا لباس رجـال الدين ذراً للرماد في العيون،

للوصول من خلال هذا الزي الجليل، إلى النيل من سمعة سماحته وتحطيم شخصيته. بعد عدة محاولات مشبوهة خاضوها، وبعد سعي دؤوب بذلوه، وبعدما وجدوا أنفسهم عاجزين عن رصد أدنى هفوة أو نقطة ضعف تعيب مسلك الإمام وتحط من قدره، حاول أولئك المرتزقة تحويل أكبر مآثر سماحته وأقواها، إلى نقطة ضعف وإدانة. فقد عمدت تلك المجموعات إلى الذهاب إلى حوزة النجف العلمية، والجلوس بطريقة توحي بالزهد والتواضع والإخلاص، والعمل ـ بأسلوب شيطاني ماكر ـ على إشاعة فكرة باطلة مفادها أن النهج الذي يتبعه الإمام، والذي يقتضي دوام الذهاب لزيارة مقام أمير المؤمنين عليه السلام بصورة يومية، قد سبب الكثير من الإحراج لسائر المراجع والعلماء الكبار الذين لم يعتادوا على دوام التشرف بزيارة الضريح المبارك، مما يضع علامات إستفهام على تصرفهم، وينال من عظمة شخصياتهم العلمية والروحية.

الفتاة، نعمة بهية:

في شتاء العام ١٩٨٤، رزقني الله سبحانه وتعالى إبنة جديدة. وبعد أيام معدودة، أتت بها أمها إلى منزل الإمام. بعد تأدية الأعمال المعهودة، خرجت من غرفة سماحته لآتي بالمولودة كي تتشرف وتتبارك بلقياه. بينما كنت أصعد الدرج المؤدي من الباحة إلى داخل المنزل، وقعت عيناي على الإمام وهو ينظر إلي بنظرات ملؤها البسمة والنشاط والحيوية، حيث أذن لي سريعاً بالدخول وقال قبل أن أتفوه بأي كلمة: (**هذا ولدك؟**). رددت بالإيجاب. مد الإمام يديه الكريمتين إلى المولودة واحتضنها بحنان بالغ وسألني: (صبي أم بنت؟). فأجبت: هي ابنتي. احتضن سماحته المولودة من جديد ووضع وجهه على وجهها، ثم قبَّل جبينها وهو يقول:

(الفتاة جيدة جداً . . . الفتاة جيدة جداً . . الفتاة جيدة جداً). ثم تلا في أذنيها دعاءً مختصراً وسألني عن اسمها، فقلت أني تركت مسألة انتخاب الإسم لحضرته. فأجابني دون أدنى تردد: **(فاطمة اسم جميل . . . فاطمة إسم جميل . . فاطمة اسم جميل)**.

من نافل القول، أن إحدى الخصوصيات المعروفة التي طبعت سلوك سماحته، وبينت حكمته وزهده وورعه، هي إلتزامه جانب السكوت والصمت، والتحدث في أضيق الحدود، مراعاةً للتكليف الشرعي المطلوب. لهذا فقد كان يلاحظ في كثير من الأحيان، أن الإمام خلال مدة إقامته في النجف الأشرف، حيث كان قد خصص نصف ساعة من الزمن ـ من الساعة الثانية والنصف بعد الغروب، وحتى الساعة الثالثة منه ـ لإجراء اللقاءات العامة في صالة الاستقبال الخارجية، لم يكن يتلفظ بكلمات تتجاوز عبارات **(السلام عليكم، ومسّاكم الله بالخير)**. ويكتفي بعد ذلك بالجلوس صامتاً حتى آخر الجلسة.

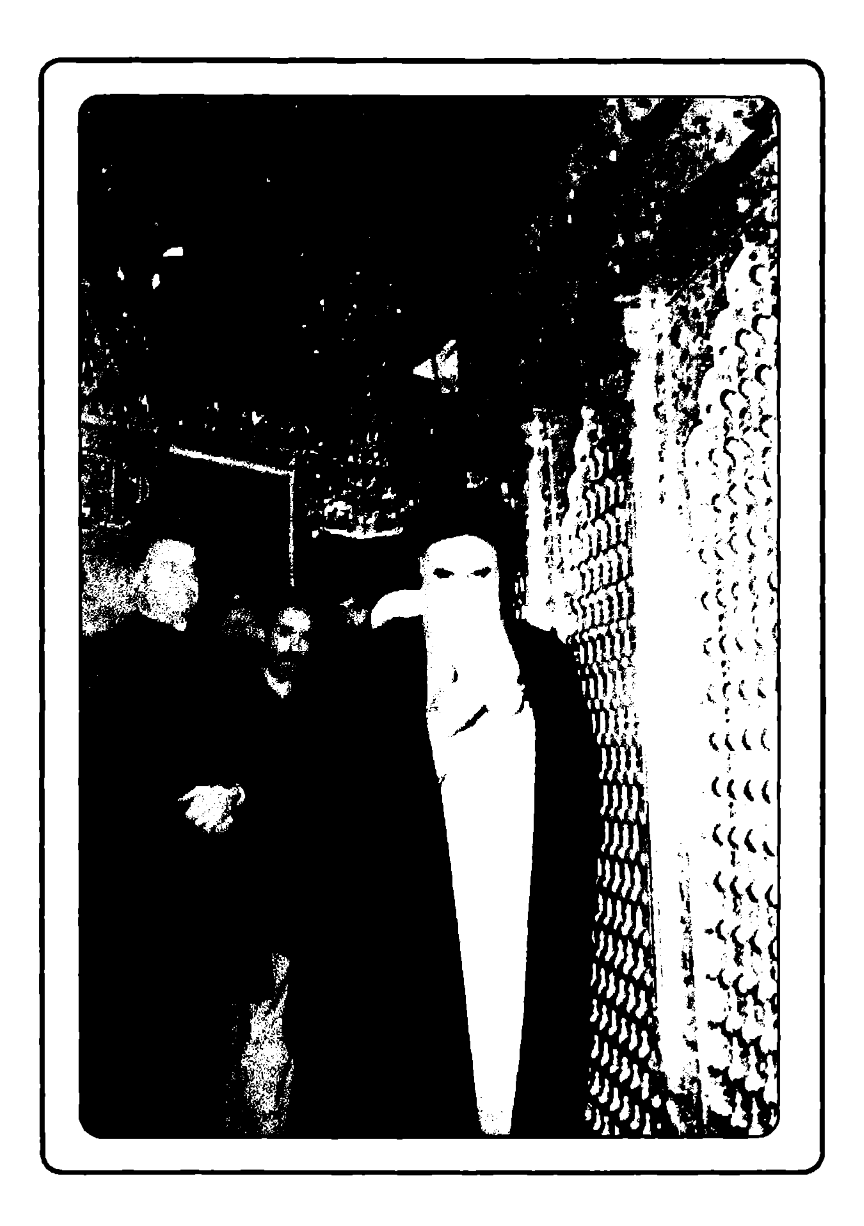
طوال المدة التي قضيتها في خدمة الإمام في منطقة جماران، كنت أعمل بين يديه صباح كل يوم لمدة تتراوح بين عشرين إلى خمسين دقيقة. ولا أتذكر أبداً أنه قال ذات مرة، كلمة واحدة غير ضرورية أو بدون مغزى. الأسئلة التي كانت تطرح عليه تميزت دوماً بالدقة والوضوح. وكل من تسنى له أن يعمل مع سماحته أو أن يبني علاقة صداقة معه، يعرف جيداً أنه لا ينبغي طرح أمور غير مترابطة أو مسائل سطحية وعابرة في محضره. إلاّ أن العديد من التساؤلات، كانت تجد جواباً لها من خلال السكوت الذي كان يبديه سماحته. أو من خلال إيماءة، أو نظرة، أو إشارة من يده، أو كلمة معينة، أو جملة مختصرة. وأحياناً، من خلال

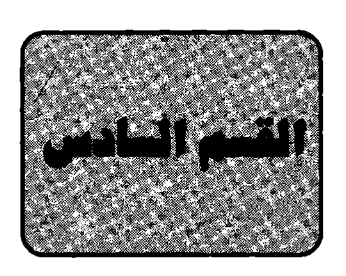
مزيج فريد من الأساليب المذكورة، مرفقة بابتسامة أو عبوس، حيث كانت كلها تعبر عن معنى دقيق قاطع، وتدل على القصد الذي يرمي إليه. إن النبع الذي استقى منه الإمام هذه المعاني السامية، ما هو إلا فيض حكمته وتعالي عرفانه وتجلي منطقه الذي يزن الأمور بميزان لا يزل. وهذا ليس بمستغرب عن إنسان رباني أوتي نصيباً وافراً من العلم الإلهي **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾** .

بقي أن نذكر في هذا المجال بعض الأمور الدالة الأخرى. وهي تنسيق لحن الصوت وإيقاع الكلمات ووقعها، لتعبر بشكل دقيق عن اعتناء سماحته بأمر معين والتأكيد عليها، أو نبذه ونفيه. وبالتالي اعتبار ذلك أسلوباً إضافياً لإبداء وجهات نظره في بعض الأحيان. على أي حال، إذا نظرنا إلى سيرة حياة الإمام من زاوية تعاطيه مع الآخرين وتحدثه معهم، واختصار الكلام والاكتفاء بأقل قدر ممكن من العبارات، ندرك أن جملة **(الفتاة جيدة جداً)** وجملة **(فاطمة اسم جميل)**، وإن وردتا تعليقاًعلى أمر خاص ومحدد، فإنهما تحملان طابعاً قريباً من التعميم والإطلاق، مما يجعل المخاطب من خلالهما، المجتمع بأسره وليس فرداً خاصاً. كما أن تكرار الجملة أكثر من مرة من قبل سماحته ليس أمراً عبثياً بالتأكيد، بل هو ناجم عن حسابات خاصة به، ونابع من جذور عقائدية وثقافية راسخة. ومن أجل تعميق ذلك الاعتقاد وتلك الثقافة في محيط المجتمع الإسلامي وتوسيع رقعة إنتشارهما، نراه يؤكد على حسن الفتاة لكي يدحض الرواسب الجاهلية التي تحط من قدرها. ويشدد على اسم **(فاطمة)**، من أجل إحياء أفضل نموذج للمرأة المسلمة المؤمنة.

*** وهل هناك اسم أفضل من إسم (علي)؟**

من المفيد أن أذكر قصة المولود التالي الذي رزقني الله إياه، كي أبين من خلالها بصورة أوضح، حكمة التعاطي الذي بادر إليه سماحته حيال القضية السابقة. بعد مضي حوالى سنة على ولادة فاطمة، رزقت بصبي فحملته كالعادة إلى منزل الإمام لنيل البركة. دخلت الغرفة وجلست بين يديه ثم قدمت له الوليد، فأحسست بوضوح أن ردة فعله كانت مختلفة تماماً هذه المرة. أخذ الإمام الطفل بين ذراعيه ومسح على رأسه، فبادرت عندها إلى القول: هذا هو ولدي الرابع. أرجو أن تتكرموا بانتخاب إسم له، مع العلم أنني لم أسمِّ(علي) حتى الآن. أجابني سماحته والابتسامة تعلو ثغره: (**وهل هناك إسم أفضل من إسم علي؟**). ثم مسح يده الكريمة على وجه المولود وتلا بعض الأدعية. وهكذا نرى أن أسلوبه في إبداء مشاعره هذه المرة، إختلف تماماً عما كان عليه في المرة السابقة.





العشق المتبادل

تعاطي الإمام مع الأعداء :

لقد اختط الإمام الخميني لنفسه طريقاً يلازم صراط الدين المستقيم، وعبادة الحق، ونبذ الذات، للوصول إلى أنوار الله العلي القدير. لقد هجر سماحته سجن النفس المظلم وقفص الطبيعة الضيق، باتجاه الله ورسوله. وغمل على تهذيب نفسه، حتى بات قلبه يبصر بنور الإيمان ويعشق الخالق عزّ وجلّ. وأفرغ سماحته قلبه من الذات وكل ما يتعلق بها، وأوكل شؤون البيت إلى صاحب البيت. وبذل ما في وسعه وجاهد نفسه للوصول إلى ذلك المقام المعنوي الرفيع، حيث باتت كل حركاته وسكناته، كلماته وسكوته، لحظات نشوته ولحظات تألمه، محبته وكراهيته، وبالتالي حياته وموته، من أجل الله وفي إتجاه الله عزّ وجلّ.

إن العاطفة والمحبة هي في الأساس إحساسات غرائزية تنشأ من الذات وتصب في الذات. إلا أنه إذا أخذنا السير التكاملي الذي يؤدي بالإنسان إلى الله عزّ وجلّ بعين الإعتبار، عندها تكتسب ظاهرتي العاطفة والمحبة، شكل صفة مكتسبة متعالية. صفة تنبع من الذات الإلهية، وتسير في الخط الذي ينتهي إليه سبحانه وتعالى.

عندما تلتصق المحبة الحقيقية، التي هي إحدى تجليات الإرتهان والإنجذاب إلى الكمال والجمال، بالمركز الأساسي وبمبدأ الجمال والكمال، تصل إلى أقصى درجات سموها، وأبهى قلل شمولها، أي إلى درجة: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾. وهكذا تشمل آفاق هذه المحبة، العالم بأسره والمخلوقات على تنوعها.

لقد نظر الإمام بعين المحبة والرحمة والإلفة إلى كل ظواهر هذا العالم ومخلوقاته وخاصة الإنسان، على أساس أنها آيات وتجليات و إيحاءات من الله المحبوب الرحيم. وذلك انطلاقاً من النظرة التي أشرنا إليها للتو، خلافاً لدعايات العالم المستكبر، المغرضة، التي أرادات بوحي من أغراضها الشيطانية وطبيعتها العدوانية، أن تصوره على أنه إنسان حاد الطباع، خشن المسلك، وغير عاطفي. إن اندماج الإمام في تلك الواحة الفكرية والتربوية الإلهية، وتمتعه بالروح المتعالية التي أشرنا إليها، جعلاه يشعر بنوع من الشفقة حتى تجاه ألد أعدائه وأشد مناوئيه مثل نصيري، الشاه، صدام، وريغان. إذ أن مشاعر العداوة والبغضاء التي بادل بها هؤلاء الأشخاص، لم تكن ذات دوافع شخصية كما حاول الأعداء تصويرها، بل بسبب العصيان الذي أبدوه تجاه الحق والظلم الذي مارسوه ضد شعوبهم. عندما كان سماحته يدعو الله عزّ وجلّ بأن يعجل في موت أحدهم على سبيل المثال، لم يكن يعتبر ذلك الرجاء دعوة شر بحقه، بل نوع من أنواع الدعاء بالخير والرحمة. الخير الذي يتمثل بتخلص الشعب من ظلمه من جهة، وبالحد من تزايد الإثم في سجل عمله من جهة أخرى. وإذا كان سماحته قد انبرى لمجاهدة حكم الشاه والقضاء عليه، فلم يكن ذلك نابعاً من عداوة شخصية أو ثأر أو انتقام، أو للقضاء عليه للحلول مكانه في السلطة. فلو افترضنا أن الشاه قد تبدل قبل إيغاله في الإجرام رأساً على عقب، وتحول إلى إنسان متدين متعبد ملتزم بأحكام الله تعالى، وبدأ بتطبيق الأوامر والنواهي الدينية في المجتمع كما أمره سماحته، لكان الإمام إنبرى لحمايته ودعمه، وبذل ما في وسعه في سبيل تقوية حكمه وبسط سلطته.

وعليه، نلاحـظ أن الإمام لم يعتبر ذاته مؤشراً يحدد الأشخـاص الذين يشعر حيالهم بالعداوة والبغضاء، بل جعل الله عزّ وجلّ ذلك المؤشر. إذ أنه لم يعادِ أحداً في حياته لسبب نابـع من الذات، بل كان يعمد دوماً إلى غـض النظر عـن أيـة حالـة تمسـه شخصيـاً، كما أنه كـان يسـامح كـل الأشخاص الـذين بادروه بـالإساءة والظلم. وحتـى أنه عمد إلى الـدعاء لبعضهم بالخير وحسن العاقبة، وإلى تفقد أحوالهم وتتبع أخبارهم.

هناك فئـات كثيرة من المغرضين والجهلة، ذوي الطينـة الغير أصيلة، سواء في مدينة قم المقدسـة أو فيما بعد في النجف الأشرف، بثت سمومها وحاولت أن تلحق بالإمام أقسى الضربات الروحية، وأن تلصق به التهم والإفتراءات الباطلة، وأن توجه له شتى أنواع الإهانات. وقد ذكر سماحته بعـض هذه المحـاولات، في الرسـالة التـي وجهها إلى الحوزات العلميـة وطلبة العلـوم الدينية. إلاّ أنـه لم يخطر على بـاله ولو للحظـة واحدة، أن يحاول الانتقام مـن الأطراف التـي أساءت لـه، أو أن يبادر إلى معـاملتها بالمثل، سواء قبل إنتصار الثورة عنـدما وصل إلى المرجعية العليا ودانت له السطوة المطلقـة على الحوزات العلمية، أو بعد انتصـارها، عندمـا تسنم أوج العظمة والسلطة من جميع الأوجه. وفي الكثير من الأحيان، نجد أن العكس هو الصحيح. حيث أن العديد مـن هذه النوعيات التي ألحقت الأذى والسوء بسماحتـه فيما مضى، وبـاتت منبـوذة ومكروهـة من قبـل جماهيره وعشاقه، بقيت في موضع اهتمامه، فكان يعمد ابتداءً إلى السؤال عنها والإطمئنـان عن أحـوالها ومساعـدتها قدر المستطـاع. وإذا أصابها مرض أو سـوء، كان يرسـل من قبله من يقـوم بواجب عيـادتها. كما أنه حاول دومـاً العمل على حـل المشاكـل الخاصة التـي تعترضها، ومـد يد العون لها.

الرسائل الموجهة من الجماهير الغير المسلمة، من سائر أنحاء العالم، إلى مكتب الإمام، وخاصة من قبل أبناء العرق الأسود والعرق الأحمر والشعوب المظلومة كافة. وقد حملت هذه الرسائل أجمل تعابير المودة والحب والعشق لقائد الثورة، وأبرزت عاطفة ومحبة لا يمكن وصفهما، كل بحسب لغة صاحبها وعلاقته و إندفاعه وشوقه. كان البعض منهم يطلب الحصول على نسخ من كتب الإمام وآثاره وسيرة حياته، أو من المصاحف وبعض الكتب الإسلامية، أو صورة مرفقة بتوقيعه عليها، أو نصيحة ومشورة، أو قماشة صغيرة من لباسه المبارك. وقد بادل سماحته هذه المحبة المتدفقة بصورة مماثلة، حيث حرص على مراجعة الرسائل والتدقيق فيها بكل شوق واستئناس. وأجاب على بعضها شخصياً بقلمه الشريف. وفي الحالات المتبقية، أجاز لوزارة الخارجية ووزارة الإرشاد الإسلامي ولمكتبه الخاص، بالإجابة عليها حسب مقتضى الحال، وتزويد أصحابها بنسخ من القرآن المترجم أو الكتب المطلوبة الأخرى، مع التدقيق الشديد على نوعية الترجمة وصحتها، ونوعية الكتب المرسلة وجودتها.

*** العشق المتبادل بين الأمة والإمام:**

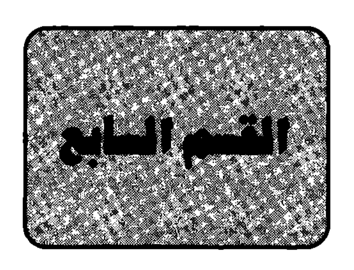
بعد أن عرفنا أن المحبة التي شعر بها الإمام تجاه كل بني البشر، كانت نابعة من بحر حبه وخلوص ارتباطه بالله عزّ وجلّ، نشير إلى أن هذه المحبة لم تكن على مستوى واحد تجاه كل الأفراد والمجموعات. إذ أن مودته كانت تشتد وتزداد تجاه الفئة المؤمنة بالله، الصادقة، والمخلصة، بشكل يتناسب مع التزايد المضطرد في صدق نيتها واستقامتها و إيمانها.

ومما لا شـك فيه، أن قصة العشـق المتبادل بين الأمة والإمـام، اللذان عاشـا حالة الذوبـان في حب الله والإنتشاء بـوصاله، هي التـي جعلت الوحدة الروحية تربط بينهما في طريق خدمة ذات الحق.

هذه القصة الذهبية التي تعجـز آلاف الكتب والمجلدات عن تصوير صدقها وعفويتها وتألقها.

خلال السنين العشرة التي تلت انتصـار الثورة، تـدفقت إلى مكتـب الإمـام مئات الآلاف مـن الرسـائل التي عبرت عـن أسمى آيـات الحب والتقدير عبر نثر بليغ، أو مدح جميل، أو قـصيدة مترفة، أو ديوان عشق ووفاء. وكان سماحتـه يرد عليها عبر أجوبة خـاصة حيناً وعامـة أحياناً، على نحو يجسـد روعة الوحدة والإنسجـام بين القمة والقاعـدة، والقائد والرعية. هـذه الوحدة التي تعجز كلماتي القاصرة عـن التعبير عن عمقها وبهائها، كما يعجز خيالي عن تصويرها وشرح أبعادها.





درس بليغ

لقد استفاد الإمام الخميني من جميع الـوسائل والقنوات المتاحة له من أجل الـوقوف على الأوضـاع والتطورات الحاصلـة في الداخـل والخارج، بشكل أمّن لـه إطلاعاً وثيقاً على كـافة المسائل المهمة، كما وفـر له تعدداً للمصادر التي يستقـي منها المعلومات. ويمكننا تقسيـم شبكة مصادره الخبرية بين سرية وعلنية، داخلية وخارجية، وصديقة وعدوة.

إن اللقاءات والاجتماعـات التي كانت تُعقـد مع سماحته، أمنـت له جانباً مهماً من المعلومات. هذا بالإضافة إلى الرسائل المفتوحة التي كانت تقدم إليه من قبـل كافة الأجنحة والأطراف، حتى المعـادية منها للثورة، وحتى مـن الأشخاص المعـروفين بتوجهـاتهم الغير ثوريـة، ناهيـك عن التقارير والدراسات السرية المعدة مـن قبل مختلف مؤسسات الجمهورية الإسلامية، وعلى الأخص، التقرير الخاص الذي كان يرسل إليه يومياً من قبل وكـالة أنبـاء الجمهورية الإسـلامية. أذكر أنـه في البدايـة، اعتادت الوكـالة على تهيئـة التقريـر الخاص بيوم الجمعـة في الوقـت المقرر. إلا أن إرساله كـان يتزامن مع التقـرير الخاص بيوم السبت، الأمـر الذي جعل الإمـام يستفسر عـن سبـب التـأخير الحاصـل ويـوصي بضرورة الالتـزام بالمواعيـد المقررة. عنـدها إتصلنا بـالوكـالة وأخبرناهـا بتوجيـه سماحته، وباتت التقارير تصل يوم الجمعة أسوة ببقية الأيام.

أما الجرائد التـي تصدر صبـاح أو عصر كل يوم، فقـد كانـت تصل أيضاً إلى يـد الإمام عند أول فـرصة ممكنة. ومـن بين التقارير الـواصلة، أبدى سماحته اهتماماً ملفتـاً للنظر بالتقرير الذي كان يعـد مرة كل بضعة أيام، ويحتوي على ترجمة لأهم المقـالات والتحليلات الواردة في الصحف

والمجـلات الأجنبية. حتـى أنه كـان يفتقده ويسـأل عنه في حـال تأخـر وصوله لفترة معينة.

هذا وقد واظب الإمام على الاستماع المستمر لنشرات الأخبار التي تبثها الإذاعـة والتلفـزيون في الجمهـوريـة الإسـلامية في الفترات المتـلاحقـة، بالإضافـة إلى متابعته لأخبار الإذاعات الأجنبية بشكـل منظم، إلى درجة أنه كـان أول من يرصد أي تغيير يطـرأ على ساعات بثهـا أو على الموجات التـي تلتقطها. في إحـدى الأيام، إستـدعاني الإمـام وأخبرني بأن جهـاز الراديـو لا يلتقط إحدى الإذاعـات. إتصلت مباشرة بمسـؤول الموجات الإذاعية في إحـدى المؤسسات الإخبارية المختصـة وأخبرته بالأمـر. لكني فوجئت بـأن الشخص المتخصص في هذا المجال، ليس لـديه أي إطلاع على الموضـوع. بعد فترة وجيـزة، إتصل المسـؤول عينـه وقال: لقـد تغير موعـد بث الأخبـار إلى الساعة الفـلانية، فأخبرت سماحتـه بالأمـر. بعد مضي دقـائق عدة على السـاعة المحـددة، استدعـاني الإمام مجدداً وقـال لـي: (**مـا زال الوضـع على حالـه**). أجبـت بـأنه ربما إشتبـه الأمـر على المسؤول، فقال سماحته: (**ربما كان الوقت الصحيـح، بعد مضي نصف ساعة على بداية ساعات البث السابقة**). ثم طلب مني أن أجلس وأنتظر الموعد معـه، وهو في حالـة تلاوة القـرآن الكريم. جلسـت على الأريكة ووضعـت ساعتـي أمـامي ورحـت أتـأمـل قسمات وجهه النير، حيـث شاهدت خصوصيـة فريدة أخرى من خصوصياته. أثنـاء إنشغاله بتلاوة القـرآن، رفـع الإمـام رأسـه وقـال: (**هـل أصبحـت السـاعـة .... والنصف؟**). علماً بأنه لم ينظر أبداً إلى الساعة للتـأكد من حدسه. نظرت إلى ساعتي فوجـدت تقدير سماحته دقيقاً مئة بالمئة. أدرنـا الراديو، ولكن

الحال لم يكن بـأفضل مما سبـق، فقلت أنـه ربما كان هناك خلـل آخر في الموضـوع، ثم استـأذنـت لـلإنصراف. تبين في اليوم التـالي أن التغيير في ساعات بث الأخبار، قد ترافق مـع تغيير مماثل في تردد الموجة التي تعمل من خلالها الإذاعة. أخبرنا سماحته بالأمر وتمت تسوية المشكلة.

*** أجهزة راديو صغيرة ومعطلة:**

مضت فترة معينـة كلفني الإمام خلالها بمسـألة تنظيم جهاز الـراديو الخاص به وضبـط الموجات التي يـريد الإستفادة منهـا. في تلك الفترة، كـانت هنـاك ثلاثـة أجهزة راديـو صغيرة في حوزة سماحتـه، الذي كـان يفضلها لصغـر حجمها وإمكانيـة حملها إلى أي مكان في أرجـاء المنزل. لكـن النقطة السلبيـة تمثلـت في أنها كانـت دائمـة التعطل، إذ أن مـرور الـزمان وكثـرة الإستعمال كـان قـد أعياهـا. وفي الفترة الأخيرة، تكـررت الأعطال الطارئة على هذه الأجهزة بشكل مزعج للغاية، حتى وصل الأمر إلى أن سماحتـه كان يحضر إحـداها مـرة كل يـومين تقريبـاً ويقول بـأنها معطلة. عندما وجدت الإمام يكـابد هذه المشكلة، قفزت إلى رأسي فكرة معينة. ترى، هل يوجد في العـالم بأسره، قائدٌ أو زعيـمٌ أو رئيسٌ أو حتى مسؤول ما، يهتم بالإستماع لنشرات الأخبار بصورة متواصلة، ويرضى بأن يعاني الأمرين من أجهزة الراديـو الموجودة لديه؟ فقررت أن أشتري جهازاً جديداً، حـديثاً، وقوياً دون علمه، كـي أقدمه لاحقاً بطريقـة لا ينزعج معها. هيـأت جهاز الراديو الجديـد. وبعد أن تعلمت طريقـة استعماله والتحكم بموجـاته وتقنياته بشكـل جيد، أخذته معـي ذات صبيحة إلى منـزل سماحته. بعـد أن تشرفت بمـلاقاتـه وإنجاز الأعمال المعهـودة بين يـديه، والانتهـاء من المهمات المقـررة، عـدت إليه مـرة أخرى وقلـت أن

الأجهزة الموجودة لديه، صغيرة من جهة، وسريعة العطب من جهة أخرى. لذا فاسمحوا لي بأن أقدم لكم جهازاً جديداً، قوياً، كبيراً، ومزوداً بهوائي صغير. أجابني الإمام: (**كان لديّ في السابق جهازاً من النوع الذي تشير إليه، لكنني أفضل الأجهزة الصغيرة عليها**). ذلك أن سماحته إعتاد على إستعمال جهاز الراديو في الكثير من الحالات. . . . أثناء ممارسته لرياضة المشي في فناء المنزل، في غرفة الجلوس، في غرفة المكتب، وقاعة الاجتماعات. لذا فكان يفضل حمل جهاز صغير طيع يمكن نقله إلى أي مكان. وبينما كان يتمشى ما بين الغرف، ذهب إلى غرفة نومه وأحضر الجهازين الصغيرين الآخرين، وأعطاني إياهما وقال: (**هذين الجهازين معطلين أيضاً**). أعدت الكرة في محاولتي لإقناع سماحته وقلت: اسمحوا لي الآن بأن أحضر الجهاز الجديد الذي حدثتكم عنه مؤقتاً، كي تستفيدوا منه ليوم أو يومين بصورة تجريبية. فإذا أعجبكم، كان به، وإلا فسأعيده رأساً إلى مكانه. وافق الإمام بعد أن لمس هذا الإصرار مني وأخذ الجهاز. وفي صباح اليوم التالي، وبالرغم من تساقط الثلوج بكثافة، حضر بعض الإخوة ونصبوا الهوائي على غصن إحدى الأشجار المناسبة.

*** درس بليغ وحكيم:**

بعد عدة أيام، تشرفت بالوقوف بين يدي الإمام من أجل تقديم بعض التقارير الخاصة بسير العمل، فما كان منه إلا أن أهداني هدية ثمينة، فقلت له: إنك تخجلني بعطاياك يا سيدي. أجابني سماحته وكأنه لم يسمع قولي: (**هذا الجهاز ـ أي الجهاز المشار إليه سابقاً ـ جيد جداً، بعكس أجهزة الراديو السابقة التي كانت سيئة للغاية**). شكرت الله

وحمدته ألف مرة، وغمرتني فرحة بالغة وسرور عارم لأنني استطعت أن أؤدي هذه الخدمة المتناهية في الصغر لسماحته. ثم أخذت توقيع سماحته على نسخة من القرآن الكريم، وطلبت منه استخارة لاثنين من المؤمنين، فتكرم وأداها. وعندما هممت بالخروج من غرفته، أشار عليّ مرة أخرى بأخذ الهدية التي قدّمها لي.

أرى لزاماً عليّ في هذا المقام، أن أذكر مسألتين هامتين:

أولاً، أن عملي مع بعض الإخوة الكرام في مكتب الإمام، قد فرض علينا نوعاً من التقيد بدوام محدد لإداء الواجبات المفروضة علينا. ولكن نظراً لأن هذا النوع من العمل يخرج عن إطار الوظيفة العادية، فيمكن إعتباره كشكل من أشكال الخدمة الشخصية لسماحته. ورغم علمه بأننا مستعدين لبذل مهجنا وأرواحنا رخيصة في ظله وتحت رايته، فقد حرص الإمام على إعطائي وغيري من الكوادر العاملة بين يديه، مرتبات وهدايا مالية من أمواله الخاصة، وبقدر يتناسب مع الكرم الذي عرف به والعظمة التي طبع بها. هذه المعاملة الطيبة يمكن اعتبارها درساً جديداً من دروسه الحكيمة، لأنها توضح لأي كان، أنه لا ينبغي له أن يتوقع من الذين يعملون بأمرته، إسداء خدمات شخصية له تخرج عن مجال الوظيفة الرسمية المحددة لهم، كما لا يجوز له أن يستغل محبتهم الخالصة وتفانيهم في خدمته، من أجل الوصول إلى غايات ومنافع ذاتية.

ثانياً، أن الإمام الخميني كان يتفقد العاملين معه من الناحيتين المادية والمعنوية بصورة منتظمة، وإلى حد يفوق كل عرف أو قانون. وقد تناهى إلى علمي أنه خلال السنة الأخيرة من عمره الشريف، راح يتفقد

ويتقصى أخبار كل الذين عملوا أو تعاونوا معه في أي وقت من الأوقات، وعلى أي مستوى من المستويات، وحتى الذين مروا بصورة عابرة في حياته. إهتم بهم ومدهم بالعون والمساعدة على مختلف الصعد. هذا العمل الكريم، يبين لنا جانباً آخر من جوانب شهامة نفسه وكرم سجيته، وإنعتاقه من قفص الدنيا وأغلالها، وارتباطه الوثيق بالله عزّ وجلّ. كما يسبب لنا، نحن الكوادر التي أحاطت به وعملت معه لسنين طويلة، ألماً وحسرة، لأننا قضينا تلك الأيام على ساحل بحر الجود، ولم نرشف ما يطهر نفوسنا ويشحذ هممنا.

* عدم التلكؤ في إنجاز الأعمال:

لم يؤخر الإمام أي عمل من أعماله اليومية أو مهمة من مهماته الملحة إلى اليوم التالي قط. لقد كانت أشغاله وحياته وكل الشؤون المتعلقة به، منظمة ومرتبة ومتناغمة. كل شيء في حياة الإمام كان موجوداً في الإطار الخاص به. وكل عمل تصدى لتأديته، تم بدون عجلة أو استهتار، أو تأخير أو رهبة، وفي الموعد المحدد له بدقة متناهية. وبالرغم من كثرة الأعمال وتعدد الملفات المقدمة إليه، والكميات الهائلة من التقارير والمستندات وغيرها من القضايا، لم يلحظ أحدنا ولو لمرة، وجود أي فوضى أو تراكم أو تلكؤ أو أعمال غير منجزة، طوال المدة التي عملنا فيها معه. كما لم يلاحظ أبداً، فقدان أي من الوثائق أو الأوراق الموجودة بحوزته.

بالنسبة لأغراضه الشخصية، من لباس وكتاب وقلم وجهاز، وسائر الوسائل الخاصة الأخرى، فقد كانت توضع بانتظام في الزاوية الخاصة

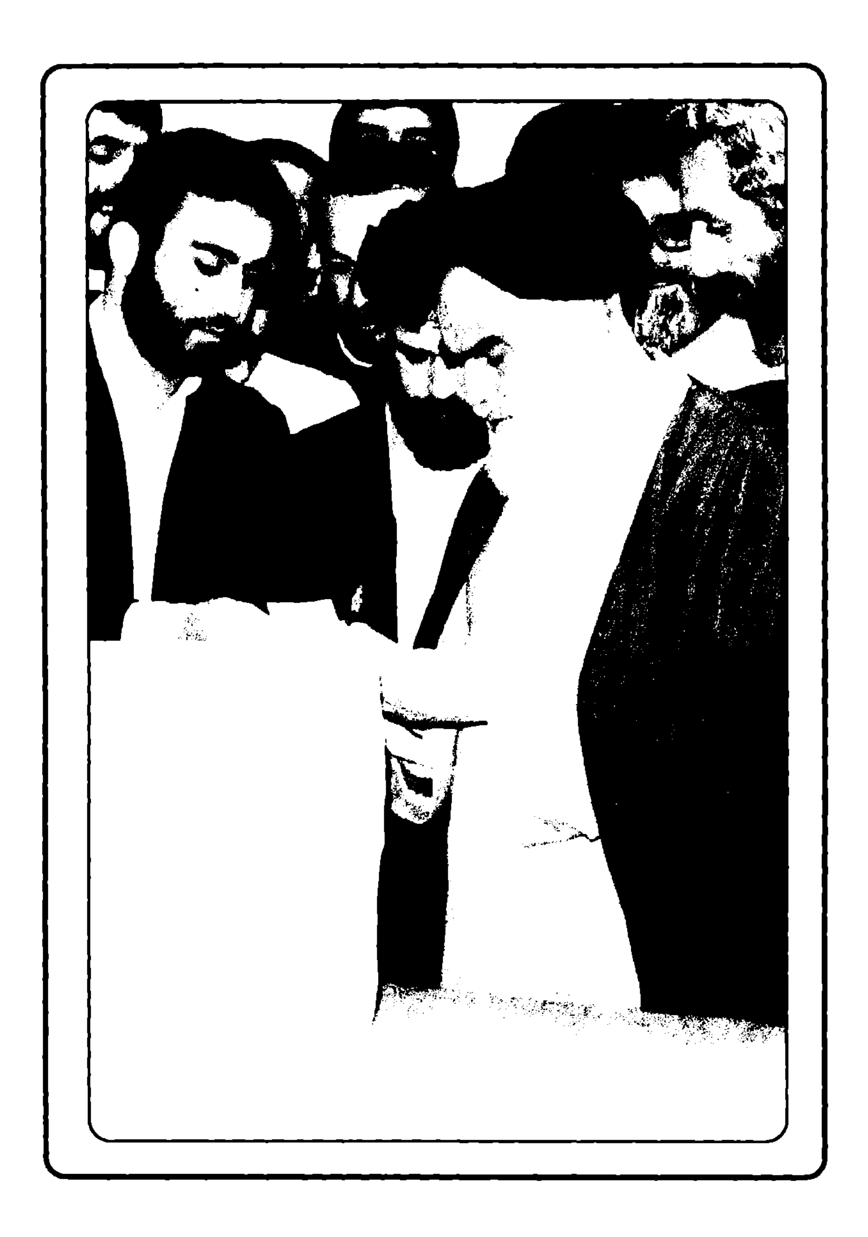
بها . وإذا صادف وجود أمانة ما بين الأغراض المشار إليها أو غرض ينبغي تسليمه إلى الشخص المسؤول عنه ، كان سماحته يغتنم أول فرصة متاحة من أجل القيام بذلك ، دون أدنى تأخير.

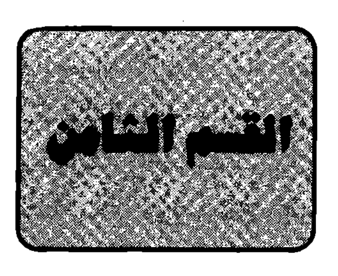
أذكر أنه في كثير من الأحيان ، إحتاج الإمام في خضم عمله وبحثه إلى كتاب فقهي أو بعض الكتب العلمية ، حيث كان أحدنا يتعهد بتأمين المطلوب لسماحته . وفي اليوم التالي ، وبعد أن يكون قد انتهى منه ، كنا نجد أن الإمام لا يرتاح حتى يعاد الكتاب المستعار إلى صاحبه ، علماً بأن مقدم الكتاب ، سواء كان واحدٌ منا أو أي شخص آخر ، كان يفتخر بأن يقبل سماحته هدية من قبله .

وهناك بعض الأشخاص الذين كانوا يترددون على سماحته باستمرار مثل السيد لواساني ، الذي كان يتشرف كثيراً بلقيا الإمام ، ليقدم إليه الأموال الشرعية من خلال سندات مصرفية . وكان الإمام بدوره يقدم إلينا تلك السندات والأوراق في أول فرصة ، من أجل تسجيلها وضبطها واستحصالها للصندوق المالي . في بعض الأحيان ، كنا ندخل على سماحته لأداء بعض الأعمال . ونظراً لكثرة الملفات وتعددها ، كان ينسى أحياناً أن يقدم لنا المستندات المالية مع بقية الأوراق . لذا كنا نسمع بعد دقائق معدودة من انصرافنا قرع الجرس الخاص ، فنهب إلى غرفة الإمام لنجده يمسك بالمستندات ليعطينا إياها . وبالرغم من أن غرفته الخاصة كانت مأمونة تماماً وبعيدة عن متناول الأيدي ، فلم يكن سماحته ليقبل بأن يحتفظ بورقة أو وثيقة لا لزوم لها ، ولو ليوم واحد .

*** الاهتمام بنتائج التصويت وأسماء النواب المنتخبين :**

من المرات المعدودة والاستثنائية التي تـأخر فيها الإمام عن قرع الجرس المخصص لاستدعائنا لدقائق قليلة، أي مباشرة بعد استماعه لموجز أخبار الساعـة الثامنـة، كانت في الأيـام التي تشهد إعـلان نتائج الانتخـابات الخاصة بمجلـس الشورى الإسلامي. في هـذه الأيام، كان ينتظـر حتى اللحظة التي يعلن فيها إسم آخـر نائب منتخب كي يقرع الجرس. وهذا العمـــل إن دل على شيء، فـإنما يــدل على عمـــق اهتمامــه بمســألــة الانتخابات، والنواب الذين يمثلون الشعب في مجلس الشورى.





الـهدف من الدراسة

*** ما هو الهدف من الدراسة؟**

في إحدى الأيام، وصلت رسالة إلى الإمام من أحد أئمة الجمعة المحترمين، وكان من تلامذة سماحته وموضع ثقته ومعرفته الوطيدة في نفس الوقت. قال فيها: لقد مضت علي سبع سنوات وأنا أقوم بأعباء إمامة الجمعة عملت خلالها أربع عشرة ساعة يومياً، مما أدى إلى تخلفي عن النشاط العلمي واستهلاك المخزون الثقافي الذي يعينني في إداء رسالتي على أكمل وجه. لذا أرجو أن تسمحوا لي بالتنحي عن هذه المهمة والعودة مرة أخرى إلى أجواء الحوزة العلمية. عندما إطلع سماحته على فحوى الرسالة، أجاب: **(الهدف من الدراسة والتحصيل العلمي هو إعداد النفس لخدمة الإسلام والمسلمين، الأمر الذي تقوم به الآن. أما إذا كنت تعاني من مشكلة ما بسبب عدم قدرتك على متابعة الدراسة، فيجب أن تسعى للقيام بواجباتك على أكمل وجه، وتنظيم وقتك بحيث تتمكن من المطالعة أيضاً)**.

*** أنفقوا مثل طلبة الحوزات:**

رسالة أخرى وصلت إلى سماحته من أحد أئمة الجمعة في إحدى مراكز المحافظات الإيرانية، وأفادت بأن المبلغ الزهيد المقرر كراتب شهري لأئمة الجمعة، لا يفي بالغرض ولا يسد الحاجة المطلوبة. فهو بالكاد يكفي لتسديد إيجار المكتب، أو فاتورة الهاتف، أو راتب المستخدم الذي يعتني بشؤون المكتب... لذا أرجو أن تقرروا زيادة على المبلغ المذكور. فأجاب سماحته على ذلك: **(أنفقوا مثل طلبة الحوزات)**.

*** سكوت :**

كتب أحد رجال الـدين رسالة إلى الإمام ذات مرة، طلـب فيها منحه إذناً شرعيـاً لأخذ مبلغ سبعين ألف تـومان من الأموال الشرعيـة الموجودة بحوزته، من أجل تسديد ثمن سيارة (بيكان) خاصة به. نظر سماحته إلى الرسالة ولم ينبس ببنت شفه، مما أوحى بعدم موافقته على الطلب.

*** ماذا حدث يا ترى؟**

أرسل أحد المشـاهير، وقد كان منهمكاً بتشييد مدرسـة علمية دينية، رسالة إلى الإمام يطلب منه فيـه السماح له باستلام الأموال الشرعية وصرف قسم منهـا في بناء المدرسة، أو أن يتـولى سماحته مسـألة المساعـدة المالية بنفسه. نظـر سماحته إلى الرسـالة ولم يعلـق بأي كلمة على الطلـب، بل اكتفى بالقول: (**ماذا حـدث يا ترى؟ هل يـريد كل السادة الأفـاضل أن يبنوا مدارس على حسابهم؟**)

التعجب من بعض الطلبات الخاصة :

أرسل أحد رجال الدين المحترمين، من قـدامى تلامذة الإمام، رسالة إلى سماحته يشرح له فيها أن الجهاز الفلاني المختص بشؤون رجال الدين، قرر تخصيـص منحة مـالية لـه من الميـزانية الخاصـة بالجهـاز، من أجـل مساعدته في شراء سيارة جديدة. إلا أنه لا يملك بقية ثمن السيارة، لذا أرجو من سماحتكم أن. . . .

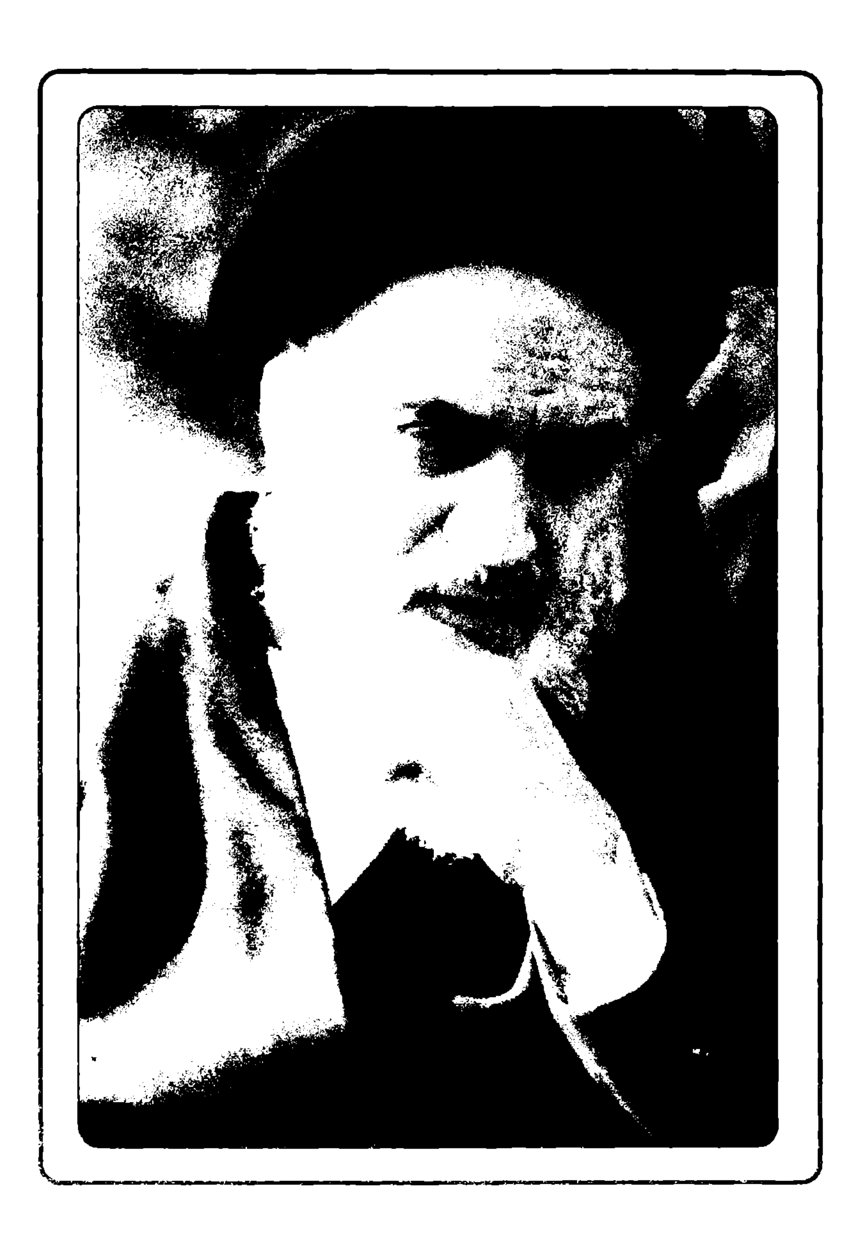
عند قراءة الرسالة، أظهر الإمام بالغ التعجب والاستغراب الممزوجين بعدم الـرضا، لوجود منـح من هذا النـوع داخل الأجهزة الخاصة بـرجال

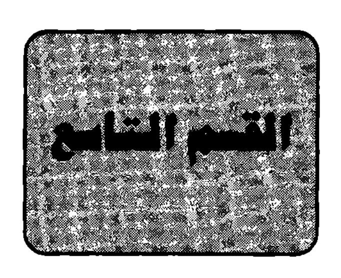
الدين. وبالنسبة لطلب الشخص المذكور، قال:

(وهل من الضروري أن يمتلـك كل السادة الأفاضل سيـارات خاصة بهم؟).

ـ لا ضير في ذلك:

في إحدى الأيـام، وبعد الانتهـاء من اداء الأعمال الاعتيـادية، سئـل الإمام أنه هـل يجوز الاستفادة من الميزانية المرصودة لمصـاريف الجبهات، واقتطاع قدر معين منها لتوزيعه على عوائل القادة العسكريين المتواجدين في ساحـات الحرب بصورة متواصلة، إن كـانت تعاني من ضيـق مادي؟ أجاب سماحته: **(لا ضير في ذلك، وهل نستطيع مواصلة القتال من دون هذه الكوادر؟).**





لا ينبغي المشاركة

الصلاة :

أرسل أحد الفتيـة ذات مرة سؤالاً شرعياً مكتوباً إلى سماحتـه يقول فيه أن والده، هو من الأشخاص اللامبالين الذين لا يعرفون عن أمور دينهم شيئاً. ومؤخراً، حذر ولده بأنه لا يقبل بأي شكل من الأشكال أن يصلي في منزلـه. ترى، هـل يستطيع الأب أن يفـرض مثل هـذا المنع؟ ومـا هو تكليف الولد في مثل هذه الحالة الصعبة؟ أجاب سماحته : (**خسيء هذا الرجـل، ليتابع الولـد صلاته بـانتظام. ليس هناك أي إشكـال شرعي في عمله**) .

لا ينبغي المشاركة :

سأل أحد المسؤولين الكبار في وزارة الخارجية ذات مرة سماحة الإمام، عـن بعض الأمـور المتعلقـة بـالسفراء والـديبلـومـاسيين الذيـن يمثلـون الجمهـورية الإسـلاميـة الإيرانيـة في الخارج. وقال أنـه كما نـدعو نحـن الديبلـوماسيين الأجـانب المعتمـدين لدينـا في المناسبـات الرسميـة التي نحتفل بها، فـإن الدول الأخـرى تدعـو أيضاً ممثلينـا المعتمديـن لديها في المناسبات الخاصة بها. ومن الطبيعي أنه إذا لم نلـب الدعوات التي توجه لنا، فـإن الآخريـن سيعاملـوننا بـالمثل. أمـا المشكلة المطـروحة في هـذا المجـال، فهي أن الحفـلات التـي تنظمها الـدول الأجنبيـة، تقدم فيهـا المشروبات الـروحية و. . . تـرى ما هـو تكليفنا في هـذه الحالة؟ أجـاب سماحته : (**لا ينبغي المشاركة في تلك الحفلات. ويستحسن توضيح الأمر للجهة المعنية، وإبلاغها بالسبب الوجيه الذي يحول دون تلبية دعوتها**) .

هذا لا يهم:

مرة أخرى، أرسل أحد السفراء المعتمدين في الخارج، رسالة إلى سماحته يقول فيها أنه غالباً ما يدعى إلى الجلسات والحفلات الرسمية التي تقام من وقت لآخر في البلد الذي يعمل فيه، حيث تقدم المشروبات الروحية والكحول في البعض منها. والمشكلة هي أننا إذا اعتذرنا عن الحضور، فإن الجهة الداعية تحمل الأمر على غير محمل حسن، وتعطيه تفسيرات خاطئة. وهذا ما من شأنه أن يؤثر سلباً على العلاقات الثنائية بين بلدينا، فما العمل يا ترى؟ أجاب سماحته: (**هذا لا يهم. لا ينبغي لكم أن تخافوا من هذه المسائل. لا تذهبوا أبداً إلى مثل هذه الحفلات. حاولوا توضيح حقيقة الأمر لهم، علهم يتفهمون الوضع مع مرور الوقت**).

حكم الوسواس:

أخبرني أحد الأصدقاء أن زوجته تعاني منذ سنين عديدة من وسواس حاد يظهر عليها أثناء الطهارة والوضوء وإداء فروض الصلاة. تنشغل بالوضوء والإستعداد لصلاتي الظهر والعصر عند حلول الظهيرة، ويحل أذان المغرب وهي لم تنته بعد من إداء هذين الفرضين. ثم تستعد لصلاتي المغرب والعشاء، فيحل منتصف الليل الشرعي وهي منهمكة في الفريضة الثانية. راجعت خلال الفترة المنصرمة، العديد من الأطباء والمتخصصين في هذا المجال، ولم أترك باباً متاحاً إلا وطرقته، ولكنني لم أحصل على الحل المناسب. وقد بلغت هذه الأزمة النفسية حداً أصبحت معه حياتي العائلية جحيماً لا يطاق، الأمر الذي أثر سلبياً على وضعية

أولادي، حتى أنهم طلبوا مني في الآونة الأخيرة الانفصال عن والدتهم. كما ترى، فالمسألة قد وصلت إلى طريق مسدود. لذا أرجو منك أن تشرح الوضع لسماحة الإمام، وأنا مستعد لتنفيذ كل ما يأمر به.

نقلت القصة بحذافيرها إلى الإمام، فأجابني بالتالي:

(ينبغي أن تعطى هذه المرأة، المهلة العادية التي ينجز خلالها أي إنسان سوي مسألتي الوضوء والصلاة. فإذا تمكنت من إنجازهما خلال هذه الفترة، كان به. أما إذا لم تتمكن من ذلك، فيعتبر التكليف الشرعي ساقطاً عنها إلى اللحظة التي تتعافى فيها من هذه الحالة المرضية).

لماذا أصبحت نحيفاً هكذا:

خلال إقامتي في النجف الأشرف، ذهبت في إحدى السنين إلى مكة المكرمة عن طريق البر وتشرفت بإداء فريضة الحج. كنت مبتلياً حينها بمرض الوسواس إلى حد ما، لكن هذه الحالة تفاقمت أثناء وجودي في الحج. أديت الأعمال والمناسك الهامة عدة مرات لأشعر بالإطمئنان التام. وبالرغم من ذلك، تولدت في نفسي الشكوك والوساوس المقلقة، وتجاذبتني التساؤلات المحيرة التي لم أجد حلاً لها، لا في صفحات الرسالة العملية، ولا بالرجوع إلى بعض الفضلاء، حتى إنتهت أيام الحج وعدت إلى النجف، وفي نفسي أشياء من هذه الزيارة.

ذهبت إلى منزل الإمام فور وصولي، فوجدته جالساً في القسم الخارجي المخصص لاستقبال الزائرين. كنت أعتقد حتى تلك اللحظة، أن سماحته لا يلاحظ التغييرات التي تطرأ على هيئة معارفه وزواره، لأنه نادراً ما ينظر إلى وجوه الآخرين ويتأمل أشكالهم. لذا ظننت أنه لن ينتبه إلى

الضعف الجسدي الذي اعتراني خلال هذه الزيارة، لكنه بعد أن استقبلني وبارك لي ما قمت به، بادرني بلهجة لطيفة حنونة:

(لماذا أصبحت نحيفاً هكذا؟ هل أنت مريض؟).

شكرته على اهتمامه الكريم وشرحت له الأمر، ثم بدأت بطرح الأسئلة العديدة التي كنت قد دونتها. أجابني سماحته على السؤال الأول. ولكن عندما طرحت عليه سؤالي الثاني، إنتبه إلى أن حالتي الصحية السيئة، ناتجة عن الوسواس الذي تمكن مني. لم يدعني أنهي السؤال، إذ قال: **(عملك صحيح)**. قلت لسماحته: لدي أسئلة أخرى. فأجابني بقوله: **(حجك صحيح تماماً... دع عنك هذه الأسئلة والإستفسارات)**.

دعاء السفر:

ذات يوم، كنت منشغلاً بانجاز بعض الأعمال في مكتب سماحة الإمام، بحضور عدد من الزملاء. بعد أن انجزت كافة الأعمال والملفات الموجودة بين يدي، هممت بالإنصراف وتقدمت من الإمام مودعاً. في هذه اللحظة، قال السيد رسولي لسماحته: السيد رحيميان، ينوي السفر اليوم إلى مكة المكرمة. أمسكت بيد الإمام مصافحاً وأردت لثمها، لكني فوجئت بموقف لم يكن ليخطر على بالي أبداً. سحب سماحته يده، وقرّب وجهي من وجهه النير، وعانقني بحنو ومحبة. لا أستطيع أن أصف شعوري خلال تلك اللحظات الرائعة، فقد هزني الوجد من الأعماق، إلى درجة أني لم أعد أميز ما يجري من حولي. وبينما نحن في حالة العناق، بدأ الإمام بتلاوة دعاء السفر: **(إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)**. وتلا أيضاً بعض الأدعية الكريمة

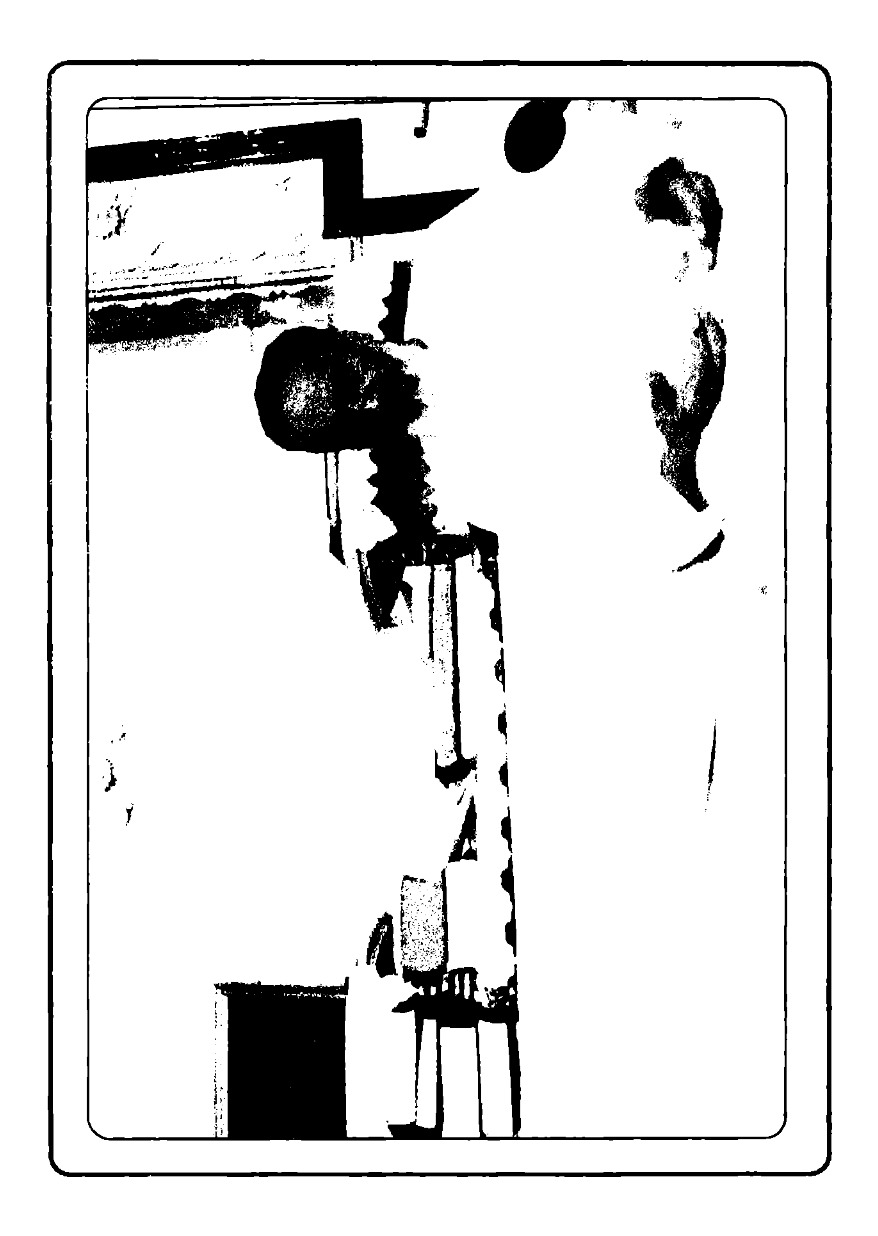
الأخرى. وعندما انحنيت على يده لتقبيلها، قال لي بلهجة تجمع المحبة والحزم في آن:

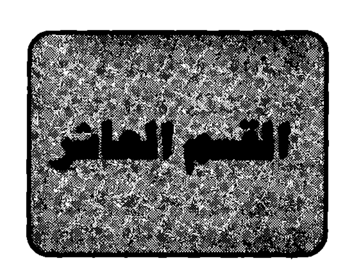
(لا تحتاط كثيراً في الأعمال التي ستؤديها هناك).

أثرت هذه الكلمة في نفسي تأثيراً بالغاً، حتى أني اعتبرتها بمثابة أمر وتوجيه لي، وظلت تتردد في مسمعي طوال فترات السفر. وخلال مناسك الحج المتعددة، شعرت بارتياح نفسي بالغ، وبت أرى الأعمال التي كنت أظنها في غاية التعقيد، أموراً سهلة ويسيرة. ومنذ تلك السفرة، تخلصت من مرض الوسواس، كلياً وإلى غير رجعة.

أخشى أن يؤلمك ذلك:

أصيب إبهام يد الإمام، بعارض مرضي سبب له الألم. إثر ذلك، استدعى الدكتور عارفي، وهو طبيب الإمام الخاص، أحد الأطباء المتخصصين بالحالة الطارئة. حضر الطبيب المختص، ودخل على سماحته من أجل معاينة حالته. وضمن الأسئلة والمعاينات التي أجراها، قدم الطبيب يديه وقال لسماحته: أرجو أن تضغط على يداي. عندها، قال الإمام بلهجة مازحة لطيفة، وبصوت هادىء قريب من القلب: **(أخشى أن يؤلمك ذلك)**. أما الطبيب المعالج، الذي كان يتشرف للمرة الأولى بلقيا سماحته، فبعد أن أخذته هيبة الإمام وجلال شخصيته العظيمة، حيث بدا ذلك عليه من ارتعاشة انتابت صوته ورجفة خفيفة في يديه، فقد ارتاح تماماً بعد هذه الطرفة وضحك ضحكة متزنة، وتابع عمله بهدوء واطمئنان.





في الأحكام الشرعية

في الأحكام الشرعية :

التزم الإمام الخميني بالتكليف الديني ورعاية الضوابط والمقررات الشرعية، سواء في الأمور البسيطة العابرة أو المسائل الهامة المؤثرة، بدقة متناهية وصرامة بالغة، حيث لم يجامل أحداً من الناس حيالها، حتى ولو كان من أحب الأشخاص إلى قلبه ومن أقربهم إليه. وعلى الرغم من أني عملت في خدمة سماحته فترة طويلة للغاية، وشاهدت كيفية تصديه لسيل من الأمور والقضايا التي تحتاج إلى قرارات فاصلة، فإني لم ألاحظ أبداً أدنى سهو أو هفوة تصدر عنه في خضم هذه الصعاب.

لم يكن سماحته يقدم على عمل معين أو يصدر قراراً ما، ما لم يتأكد بطريقة حاسمة لا يرقى إليها الشك، من صوابية العمل أو القرار من الناحية الشرعية. وذلك، إما نتيجة لتشخيصه الذاتي أو عبر الطرق الشرعية الأخرى، التي كانت تبين له الحجة الدامغة. والجدير بالذكر أن الأمور التي كان يقررها انطلاقاً من قناعته الذاتية، لم تكن تتكشف فيما بعد عن أي وهن أو لبس. أما المرات القليلة التي برزت فيها بعض الثغرات، فكانت قرارات سماحته قد اتخذت بناءاً للطريقة الثانية، أي عن طريق بينة هيأت الأجواء لصدور الحكم من قبله، مثل قضية انتخاب بعض الكوادر الليبرالية و. . . التي أبدى رأيه فيها استناداً إلى وجهات نظرٍ لأشخاص يثق بهم كل الثقة ويعتمد على حكمتهم. والملفت للنظر أنه عندما تحدَّث عن الخطأ الذي حصل في هذا

الانتخاب، لم ينحِ باللائمة على أحد من الناس، بل أخذ مسؤولية الهفوة على عاتقه بكل شهامة ورجولة.

وفي المسائل التي كـانت تحتاج إلى بينة، فقد كان سماحتـه يعمل وفق البينة التي تعتبر حجة شرعية في حد ذاتها، ما دام أنه لم يقف على ضرر في هذه المسـائل. على سبيل المثـال، أذكر مسألـة إصدار إجـازات حسبية للأفراد. إذ أن سماحتـه لم يكن ليصدر مثل هذه الإجـازات، ما دام أنه لم يحرز الثقة المطلـوبة بالشخـص المعني. وفي هـذه الحالة، كان لا بـد من تزكيته بواسطة شخصين عادلين، كي يصار إلى منحه الإجازة.

وفي جماران، تقدم أحـد الأشخاص ذات مـرة بطلب للحصـول على إجازة حسبية. وعندما طرحت المسـألة على الإمام، نال الشخص المعني ثقة أحد الحاضرين في المجلس وتأييده. إلا أن سماحته لم يكتف بذلك، بل نظر إلى كاتب هذه السطور وقال: (**يجب أن ينال تزكية أخرى من أحد العدول**). وعندما لاحظ سكوتي، لم يوافق على إصدار الإجازة.

أعود بالذاكرة إلى النجف الأشرف، حيث كان المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي موضـع ثقة كافة المراجع، فـإشارة منه كانت تغنـي عن شهادة عشرة من العدول. ومن الطبيعي أنـه كان يحظى بهذا الاحترام عند الإمام أيضـاً. ذات مرة، قصـد سماحته طـالبـاً منه بـاصرار، إصدار إجـازة في الأمور الحسبيـة لأحد الأشخاص الذيـن يعرفهم تمام المعرفـة ويمحضهم ثقته الكاملة. فما كان من الإمـام إلا أن أجابه بصراحة كاملة: (**شهادتك لا تكفي لوحدها، لا بد مـن توفر شهادة أخرى**). أما في المسائل التي لم تكن بحاجـة إلى بينة، حيث تكفي وجهـة نظر السائل من أجـل صدور

الإجازة والحكم الشرعي، فكان سماحته يعمد إلى إلقاء المسؤولية الشرعية على عاتق الطرف المعني. أي أنه كان يجيب على السؤال، ويعطي الإجازة على نحو لا يتكبد معه مشقة عند الله عزّ وجلّ، فيما لو بدر من ذلك الطرف ما يسيء إلى عدالته واستحقاقه للإجازة. وغالباً ما أرفقت أجوبته، رضوان الله عليه، بعبارات من قبيل: (**إذا، في حال، على هذا الأساس**)، وما شابه.

في إحدى الأيام، طرحت على الإمام مسألة شرعية مفادها أن الراتب الذي أقبضه مقابل العمل والتدريس، يكفي لتأمين مصاريف حياتي. ولكن الحوزة العلمية تخصصني براتب شهري أيضاً. في هذه الحالة، أتسمحون لي بأن أستفيد من المبلغ الإضافي من أجل تأمين بعض تكاليف مجلة (**جندي الإسلام**) التي تعنى بشؤون العقيدة الإسلامية؟ فكان الجواب: «**إذا» كانت هناك ثمة حاجة، فلا بأس في ذلك**.

يحضرني الآن جانب آخر من نظرة الإمام إلى الأموال الشرعية، حيث لم يكن يسمح بالاستفادة من (**سهم الإمام**) في بناء المساجد، إلا إذا ترافقت مع شرطين هامين: أولاهما أن يسد بناء المسجد حاجة ضرورية، وثانيهما هو عدم الاستعانة بمصادر مالية أخرى مثل التبرعات، في تأمين الميزانية المطلوبة. لذا، فقد كان يجيب على الاستفتاءات المرفقة بهذين الشرطين على النحو التالي: (**على هذا الأساس، يمكن الاستفادة من سهم الإمام**). أما إذا لم يتضمن السؤال المطروح ما ذكر من الشروط، فكان الرد يأتي هكذا: (**يمكن الاستفادة إذا كانت عملية البناء ضرورية، مع عدم توفر أي مصدر مالي آخر**).

هذا فيما يتعلق ببناء المسجد من أساسه، أما بالنسبة للتجهيزات المكملة له مثل السجاد، حجر الرخام، الموزاييك، و. . . فكان في معظم الأحيان، لا يسمح بصرف الوجوه الشرعية من أجلها. وهناك شواهد كثيرة على ذلك. من جملتها أن أحد الأشخاص طلب إذناً بصرف مبلغ ثلاثين ألف تومان من سهم الإمام، من أجل شراء سجاد لمسجد يقع في شارع أبا ذر في مدينة طهران، فأجاب سماحته: **(لا أسمح بذلك)**.

من جهة أخرى، فإن سماحته لم يسمح في معظم الأحيان، بصرف مبلغ من الوجوه الشرعية من أجل المساهمة في نشر كتاب أو صحيفة معينة. وعلى حد علمي، فإنه لم يرد بالإيجاب على أي من الطلبات التي قدمت إليه، طارحة صرف هذه الوجوه في طبع كتاب أو تأسيس مكتبة أو ما شابه ذلك من الأمور.

كتب أحد الفضلاء من مدينة قم المقدسة ذات مرة رسالة إلى سماحته، طلب فيها السماح له بصرف سهم الإمام الخاص به وبأصدقائه في طبع كراسات حول العقيدة الإسلامية. فأجاب الإمام على ذلك:

(لا أسمح بذلك بالنسبة للكتاب الذي يُطبع تدريجياً).

أحد الحاضرين في المجلس أيد الطلب المذكور واستحسن تلبيته، إلا أن سماحته كرر جوابه السابق: **(لا أسمح بذلك بالنسبة لكتاب يصدر بهذه الصورة)**.

في حادثة ثانية، كتب أحد الفضلاء من باكستان رسالة إلى سماحته عرض له فيها الإمكانيات الثقافية التي يفتقر إليها بلده. ومن ثم أشاد

مطولاً بأهمية مجلة (جندي الإسلام)، وعمقها وغناها وتنوعها، طالباً من الإمام منحه إذناً بالإستفادة من الأموال الشرعية، من أجل القيام بترجمة المجلة المذكورة الى اللغة الأُرْدِيّة (لغة البلاد)، وطبعها نظراً للدور الثقافي الهام الذي سيؤديه هذا المشروع البناء. في بداية الأمر، لم نر داعياً لعرض الرسالة على سماحته، لعلمنا المسبق بجوابه المعروف حيال هذه الأمور. إلا أن السيد رسولي، الذي كان يعرف إعجاب الإمام بهذه المجلة، إرتأى عرضها على سماحته، الذي بادر كما هي العادة، وبدون أدنى مكث أو تأمل إلى القول: (**لا أستطيع السماح بذلك**).

رعايته للمصالح العامة:

إن الإيمان الخالص والتعبد الصادق اللذان كان يرفل فيهما سماحة الإمام، انعكسا على صفحة العمل والواقع بصورة لا مثيل لها. إذ أنه لم يكتف بالإلتزام الشديد والصارم بالعبادات والآداب الإلهية فقط، بل كان قدوة تحتذى في رعاية الأنظمة والمقررات، والتقيد بالقوانين العامة أيضاً، حيث لم يستثني نفسه أبداً من النظام الذي يشمل كل أفراد المجتمع وطبقاته. وبما أن كل مقررات النظام الإسلامي، وقوانينه وضوابطه كانت تستمد شرعيتها من مقام ولايته، فقد كان أحرص الناس على رعايتها وحفظ حرمتها. وأرى من المناسب في هذه العجالة، أن أعرض لنماذج من هذا المسلك، الذي يمكن اعتباره نهجاً صالحاً حرياً بأن يتبع من قبل كافة المسؤولين في المجتمع الإسلامي.

أ ـ بالنسبة للوجوه الشرعية المرسلة من قبل مقلدي سماحته في خارج البلاد، فكانت تصل إلينا بصورة عملات صعبة في كثير من الأحيان،

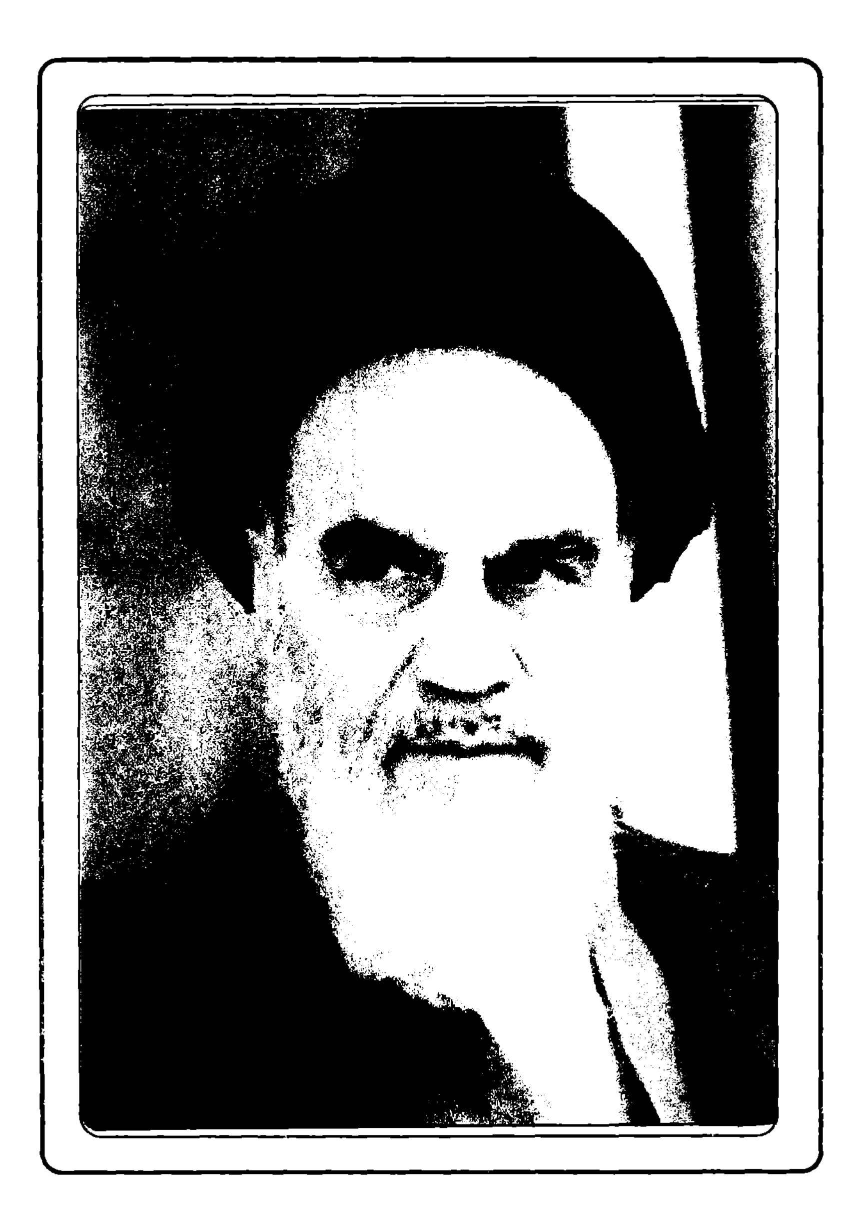
حيث كنا نضطر أحياناً إلى تحويلهـا إلى الريال (العملة المحلية) الإيراني. وفي هذه الحالة، كنـا أمام خيارين. فإمـا أن نبيعها إلى المصرف المركزي، ونقبض ثمنها حسب سعـر الصرف الرسمي الذي حددته الـدولة، وإما أن نبادر إلى بيعها في السوق الحرة، ومن ثم إلى صرف قيمتها في المجالات الشرعية (مـع ملاحظة التفـاوت الكبير بين سعر الصرف الرسمـي وسعر الصرف المتبع في السوق). ومن الطبيعي أنه إذا كانت هناك ثمة مئة دولار مرسلة كصدقة أو زكاة للفطرة ومخصصة للفقراء، فلا بد أن يعطى لهم إما المبلغ عينـه أو قيمته الـواقعية. وكانـت وجهة نظـر سماحته حيـال هذه الأمور، التـالي: **(راجعـوا السيد مـوسـوي في هـذا الأمر «رئيـس الـوزراء السابق، السيد مير حسين موسوي». فإن أفادكم بأنه لا مانع لدى الدولة من ذلك، ليصرف المبلغ في السوق الحرة).**

ب ـ هذا التقيد الصارم بـالأنظمة والقوانين المنطقية، لم يكن منحصراً بمقررات النظام الإسلامي والجمهورية الإسـلامية فقط، بل اتبع سماحته الأسلوب نفسه تقريباً حتى في ظل الحكم البهلوي (الملكي) الباطل، من أجل رعاية المصالح العامـة في المجتمع، وعدم هدر الأموال العامة. على سبيل المثـال، نذكـر أنه أراد أن يعبر الشـارع ذات مرة في مـدينة همدان، فلاحظ أن الجادة الموجـودة عند منتصف الطريق مزروعـة بالحشيش. فما كان منه إلا أن سار مسافة طويلة حتى وصل إلى تقاطع مخصص للعبور، فعبر مـن هناك. وذلـك كي يتفـادى المشي على الحشيـش، ولو لخطـوة واحدة.

وإني كأحـد الذين خدمـوا لسنين عديدة في مكتب الإمـام، أستطيع القول بكـل ثقة، أنـه لم يلاحـظ عليه أدنـى خروج عـن مقررات الـدولة

الإسلامية، حتـى في نطاق حياته الشخصية. فقد حـرص مثلاً على دفع فواتير الماء، الكهـرباء، الهاتف، وغيرهـا من الخدمـات، في أسرع وقت ممكن.

كما أنه لم يسمح على الإطلاق لأي من المحسوبين على بيته أو مكتبه، بمخالفة ضوابط الدولة الإسلامية وقوانينها، حتى في أضيق الحدود.





الحرص على مصالح المسلمين

إرجاع الأمور إلى المسؤولين:

لقد سعى الإمام الخميني، قدس سره، طوال فترة تصديه لقيادة الشعب والدولة إلى وضع الأمور في مجراها الطبيعي. لذا فكان يُرجع الكثير من الملفات والقضايا المطروحة عليه إلى المسؤولين المعنيين، بالرغم من وجوده في قمة هرم الدولة الإسلامية، وتمتعه بالكلمة الأقوى والأشد تأثيراً، وذلك من أجل حفظ مكانة هؤلاء، واحترام شأنهم ومواقعهم. إلى جانب ذلك، كان سماحته يعمد إلى رسم الخطوط العامة وشرح المبادىء الأساسية التي تظلل كافة المناصب والمواقع داخل هيكلية النظام الإسلامي، وإلى مراقبة حسن سير الشؤون العامة في الوزارات، والتزام المسؤولين بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم، وذلك من دون التدخل المباشر في مسار الأمور، أو التعليق الجزئي عليها.

وفي بعض الأحيان، كانت تصله طلبات معينة، أو شكاوى على فردٍ أو إدارة ما. عندها، كان يتابع المسألة عبر أعلى سلطة مختصة، مبيناً الحكم الكلي، وتاركاً للمسؤول المعني، تشخيص المصاديق والمواضيع الجزئية. ومن باب المثال، أذكر أن سماحته قد أجاب في العديد من المرات التي كان يسأل فيها عن نقاط تتعلق بالحرب، على النحو التالي:

إسألوا الشيخ هاشمي رفسنجاني (على أساس أن سماحة الشيخ رفسنجاني، كان قد عين نائباً للقائد العام للقوات المسلحة، بقرار صادر عن الإمام نفسه).

ذات مرة، نقلت لسماحته استفسارات عائدة لمجموعة من الطلاب

الجامعيين وطلبة العلوم الدينية، حول كيفية التحاقهم بالجبهة والتوفيق ما بين الدرس والجهاد، وتحديد أولوية أحدهما. فأجابني بقوله: (**ليسألوا الشيخ رفسنجاني عن ذلك**).

عدم إلحاق الضرر بالمسلمين:

لقد أبدى الإمام الخميني دوماً، حساسية خاصة وجدية صارمة في تعامله مع الخطر الذي يسببه تسرب الثقافة المادية المنحطة إلى أفكار المسلمين، والتأثير السلبي الذي قد يتركه عليهم. ولهذا السبب، فقد وضع سماحته قضية الإستفادة من علوم الأجانب وفنونهم، ضمن إطار خاص وشروط محددة، تحفظ سلامة هذه العملية وتضمن استمرارها في الاتجاه البناء. وعلى سبيل المثال، اتصلت بي ذات مرة، اللجنة المشرفة على مركز (التنمية الفكرية للأطفال والفتيان)، كي تأخذ إذناً شرعياً لشراء مجموعة من الكتب والمنشورات الهادفة والمفيدة للأطفال والفتيان، مع ملاحظة أن ناشرها أو مؤلفها أو مترجمها ليس بمسلم. وعندما عرضت المسألة على سماحته، بادرني بالقول: (**يجب الاستعانة حتى المقدور بالكتب التي هي من تأليف المسلمين. أما إذا صادف وجود كتاب هام ومفيد للغاية، من النوع الذي ذكر في السؤال، فلا بأس من شرائه، بشرط ألا يلحق ذلك ضرراً بالمسلمين**).

الاجتماع بوزير خارجية الاتحاد السوفياتي:

في صباح اليوم الذي حدد لزيارة وزير خارجية الاتحاد السوفياتي السابق، السيد ادوارد تشيفارنادزه، إلى منزل الإمام كي يقدم لسماحته رسالة السيد غورباتشوف الجوابية، ذهبت كالعادة في الساعة الثامنة

صباحاً إلى المكتب، حيث عرفت أن الإمام ـ على غير عادته ـ لم يكن قد انتقل بعد إلى غرفة الإجتماعات. وشاهدت في هذه الأثناء، وزير الخارجية السوفياتي السابق ومعه كبار مسؤولي وزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية، ينتظرون وقوفاً في الغرفة المذكورة، قدوم سماحته. وقد لفت نظري أن طريقة الضيافة قد طرأ عليها تعديل طفيف لأول مرة. فمن جهة، صفت في الغرفة بعض الكراسي التي إستعيرت بالطبع من مكان ما، كي يجلس عليها أفراد الهيئة الزائرة. ومن جهة أخرى، فقد قدّم الحاج عيسى الشاي للحاضرين، الذين بدأوا بشربه وهم وقوف. وكان السفير السوفياتي في طهران بالإضافة إلى مترجم روسي خاص، يقفان إلى جانب السيد تشيفارنادزه. أما بقية مرافقيه، فقد بقوا في فناء المنزل.

مرّت لحظات إنتظار وترقب طويلة على الحاضرين في غرفة الإجتماعات، إلى أن أصبحت الساعة الثامنة وخمس دقائق، حيث أقبل سماحته بنفس الهيئة التي شاهدها الجميع على الشاشة، ودخل إلى الغرفة ومر من أمام الحاضرين، دون أدنى توقف أو تمهل أو تمعن في الوجوه، إلى أن استقر به المقام في المكان الذي اعتاد الجلوس فيه. وفي الوقت نفسه، جلس الوزير الضيف على الكرسي المخصص له.

وقد جرت العادة في الإجتماعات الغير عادية، أن يجلس الأفراد المشاركون بصورة شبه مؤقتة وغير متعادلة في البداية. وبعد مرور عدة لحظات تحمل معها الإطمئنان والهدوء والاستقرار النفسي، يعدلون جلستهم، ويظهر على هيأتهم ومظهرهم، التوازن المطلوب. إلا أن السيد تشيفارنادزه، وهو رئيس الديبلوماسية الروسية، ومندوب الجبار الشرقي

الـذي ظهر دومـاً بمظهـر صلب ومتماسـك وواثق في المحـافـل الدوليـة الكبرى، وفي قصور الضيافة الرسميـة لدى دول الغرب المقتدرة، حسب ما شـاهدناه في الأفـلام الخبرية المصورة، لم يكـن في حالته المعهـودة وهو يجلس حـافي القدمين لأول مرة في حياتـه، على كرسي متواضع وفي غـرفة عادية جداً، تغطي أرضها سجادة قـديمة شاحبة اللون، ويعقد اجتماعاً رسمياً على هذا المستوى من الأهمية. فهـو قد وجد نفسه لأول مرة يجلس في أبسط وأصغـر مقر قيادي، وأمام قـائد رباني مجلل، هـزت شخصيته المعنوية أركان الاستكبار في العالم.

لست أدري إن كانت الارتعـاشة الخفيفة التي هزت يديـه أثناء تلاوته لجواب السيد غورباتشوف، ناتجة عـن الشيخوخة أم عن شيء آخر! ومن الملفت أنه منذ اللحظة الأولى لبدء الاجتماع، جلـس على كرسيه بوضعية غير مستقرة، تجلت بوضوح من خلال الطـريقة الغير متعادلة التي وضع بها رجليه على الأرض. وقـد استمر على هـذه الوضعيـة حتى فـراغه مـن تلاوة الرسالة التي كانت طـويلة نسبياً، حيث بقيت الإرتعاشة متحكمة بحركات رأسه ويديه، بينما ظلت باقـي جوانب جسمه ساكنة إلى حد لا يوصف.

ومن الجدير بالـذكر أيضاً أن المترجم الروسي الذي عـرف عنه حسب المصادر المطلعة، تمكنه التام من الترجمة إلى اللغة الروسية ومنها، واقتداره في هذا الفن وطلاقة لسانه المشهـودة، لم يستطع خلال هذا اللقاء، لفظ الكلمات الفارسية بدون اللكنة الأجنبية التي تـؤثر على وقعها، بالرغم من الجهد الكبير الذي بذله لإخفاء اللحن في صوته.

على أي حال، انتهت رسالة السيد غـورباتشوف مصحوبة بترجمتها، حيث بات الجميع بانتظار جـواب سماحة الإمام، وردة فعله التي لم تكن لتخطر على بـال أحد من الحضور. العيـون والآذان كانت مشـدودة نحو سماحته ومترقبة. أمـا مندوب الجبار الشرقي، فقد وجد نفسـه مرة أخرى أمـام ردة فعل غير عـاديـة، لا يمكن تصـورهـا أو التكهن بها. أجـاب سماحته على الـرسالـة التي تليـت عليه للتـو، بجملات مختصرة وصريحة خلت من أي نوع من أنواع المجاملة، ولم تستغرق أكثر من دقيقة واحدة، أنهاهـا بقولـه أنه يـأسف لكـون السيد غـورباتشـوف قد أغفـل المسألـة الأساسيـة التي رمـى إليها الإمـام من خـلال رسالتـه المشهورة. ولم يكـد المترجم ينهـي نقل الجواب إلى اللغـة الروسيـة، حتى نهض سماحتـه من مكانه وتوجه إلى غرفته الخاصة. ومـع أن محبي الإمام قد اعتادوا دوماً عند الحضور في مجلسه على الإنجـذاب نحوه وتقبيل يديـه الكريمتين، إلا أن الهيبة والسرعة اللتان طبعتا حركته سـواءً عند الدخول أو الخروج، أوجدتا حالة استثنائية لا مثيل لها، أجبرت الجميع على البقاء في أماكنهم، وعدم التشرف بمصافحته وتقبيل يديه.

مثال الترتيب والطهارة والنظافة:

لقد فرض الإمام الخميني على نفسه طوال فترات حياته، نظاماً صارماً تحكم بجميع شؤونه وأعماله الخاصة ومسؤولياته العامة، على نحو أعطى معه كـل أمر، الـوقت الـذي يحتاجـه والاهتمام الذي يستحقـه، دون أن يشغلـه ذلك عـن التصـدي لبقية الأمـور. لذا فكـان يـؤدي كل أعمالـه وواجباته مثل العبادات، تلاوة القرآن الكريم، قراءة الأدعية، المطالعة، الإستماع إلى الأخبار، رياضـة المشي، حركات الليونة الجسـدية (الحركات

الـرياضيـة التـي أشار بها الأطبـاء على سماحته مـن أجـل حفظ صحتـه وسـلامتـه)، الإجـابـة على المسـائل الشرعيـة والإهتمام بـالإجـازات والاستجازات وقبض الوجـوه الشرعية، الإجتماعات، الإنصراف إلى أفراد العائلـة في جلسات حميمة، تناول الطعـام، الخلود للراحة، وغيرهـا من الأمور، في الأوقات والمواعيد المخصصة لها بالضبط.

وقد تجلى هذا النظام الدقيق من خلال برنامج أعماله الأسبوعية أيضاً. فعلى سبيل المثـال، كان يتـوجه صباح كـل يوم جمعـة، بعد الاستماع إلى موجز أخبار الساعة الثامنة، إلى الحمام للإغتسال. وبالرغم من أني كنت أحمل لسماحته عدداً مـن الأوراق والتقارير التي تحتـاج لإمضائه، في أيام الجمعة أيضاً، إلا أن الجواب كـان يأتي دوماً بأنـه لا يستطيع الاستماع أو التحدث إلى أحد في مثل هذه الساعة، لأنه ما أن ينتهي موجز الأخبار في السـاعـة الثامنـة وبضعة دقـائق، حتى يتـوجه مباشرة إلى الحمام. وكان الاستحمام يستغرق منه عادة سـاعة كاملة، حيث كان ينتهـي في الساعة التاسعة وبضعة دقائق. وتجدر الإشـارة إلى أن الحمام المذكور، كان عادياً جـداً بمسـاحته الصغيرة وتجهيـزاتـه المتـواضعـة، حتى أنـه لم يحتـو على مغطـس، وهـو الشيء الـذي لا بـد مـن وجـوده في أي حمام كـان. ولم يتخلف سماحته عن هذا البرنامج إلاّ في حالات المرض، حيث كان يشير عليـه الأطبـاء بعـدم الاستحمام لأن ذلـك يضر بصحتـه. وفي إحـدى المرات، مضـت عليه فترة مـن دون استحمام، فسـأل الطبيب المختـص سؤال مـن فرغ صبره عن الموعـد الذي يسمح لـه فيه بالإغتسـال. ولكنه واظب على تبديل ملابسه بانتظام، حتى في هذه الحالات الاستثنائية.

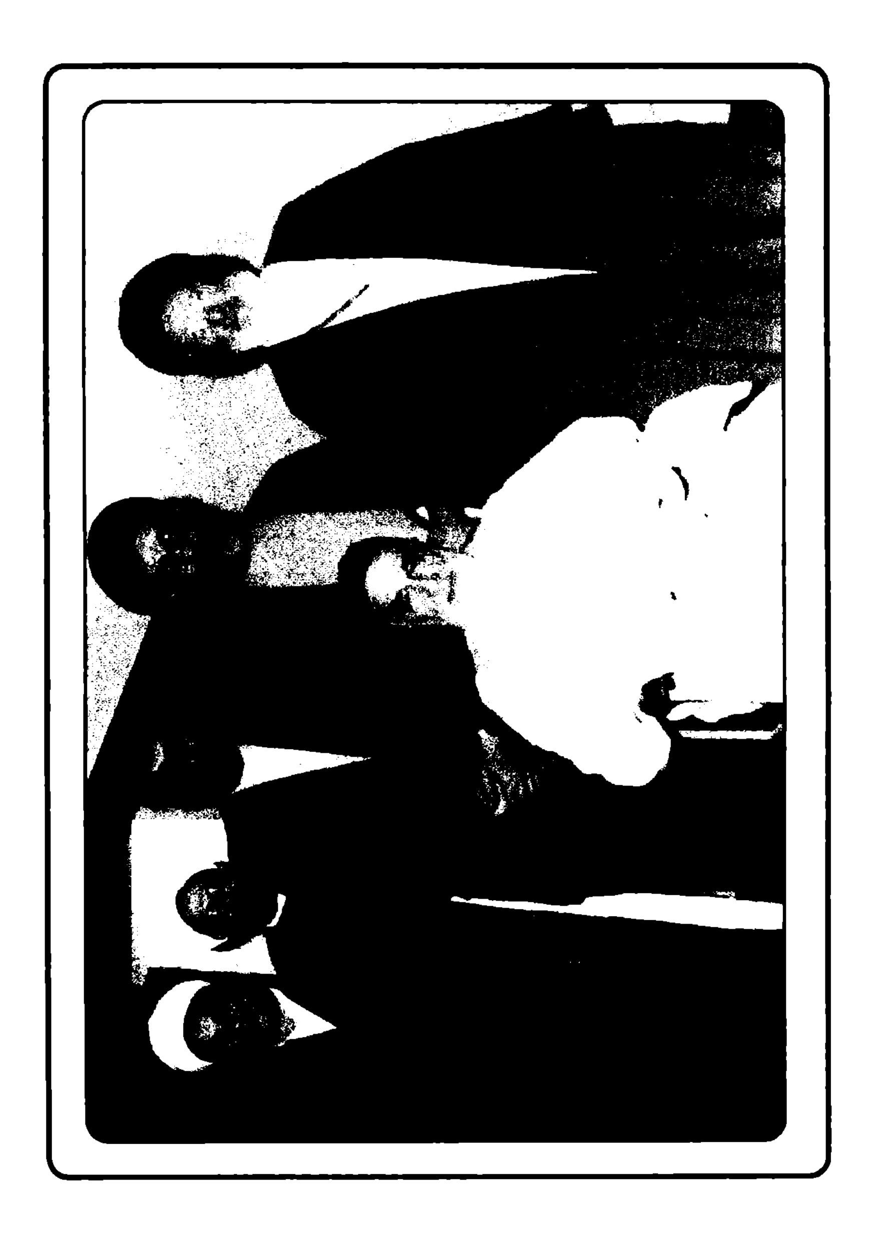
وبالـرغم من البسـاطة التي طبعـت حياته وميـزت لباسه، فقـد كان

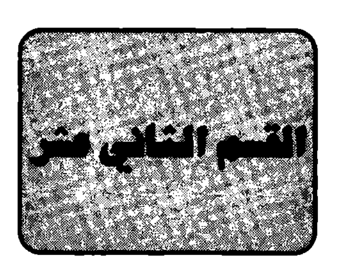
سماحته مثالاً للطهارة والنظافة والأناقة. فألبسته كانت دوماً نظيفة براقة، وحتى جواربه لم يلاحظ عليها أدنى أثر للبقع. وذلك لأنه حرص دائماً على السير داخل البيت منتعلاً حذاءً خفيفاً، مع أن السجادات المفروشة كانت نظيفة تماماً.

وبشكل عام، فإن المحيط الذي كان يعيش فيه الإمام الخميني، من غرفة عمله إلى مكان عبادته إلى غرفة نومه واستراحته، اتسم بالنظافة والطهارة التامتين، حيث كانت الروائح الزكية التي تبثها العطور، تملأ الفضاء بأريجها الأخاذ، وتضفي جواً من الارتياح النفسي.

وبرغم التزام سماحته بنهج البساطة والقناعة والزهد في حياته وفي مجال الإمكانيات المتاحة له، إلا أنه حرص على استعمال أفضل العطور وأجودها، عملاً بالآداب والسنن الإسلامية التي تحث على النظافة الظاهرية، وتعتبرها مقدمة مناسبة لبلوغ الطهارة المعنوية والتهذيب النفسي. فالإنسان الذي يعيش في صميمه حالة الإيمان والتقوى، جدير بأن يتحلى بعبق العطور.

لذا فإن العطور المحلية والخارجية كانت تتدفق على سماحته، مهداة من قبل الأصدقاء والمحبين، حيث كان يختار الأنسب والأجمل من بينها. حتى أن بعض العاملين في مكتبه، صار يحرص على استعمال العطر الذي يرتاح إليه الإمام، حين يريد التشرف بلقائه وعرض الملفات عليه.





مجالسة الأصدقاء والأحبة

رعاية التراتب لدى التعاطي مع الأفراد :

إمتاز الإمام الخميني ، قدس سره ، بنظرة ثاقبة ولماحية ملفتة في معرفته للأفراد ، وتقييمه لشخصية كل واحد منهم . ولذا فكان يتعاطى مع أي شخص تربطه صلة به ، على أي مستوى من المستويات ، بطريقة تتناسب مع شأنه ومكانته ومقامه . وهكذا ، إلتزم سماحته برعاية تراتب الناس وتفاضلهم ، الذي كان يحدده من وحي المقاييس الإلهية السامية ، بدقة متناهية وفي جميع الظروف والحالات . أما المرات المعدودة التي خفي فيها علينا سر تعاطيه المفاجىء ، سلبياً أو إيجابياً ، مع بعض الأشخاص ، فقد تكفلت الأيام بكشف السبب الذي أدى إلى ذلك التعاطي ، والحكمة التي أحاطت به . ولكن اللغز الأكبر الذي ما إنفك يستعصي على الفهم والإحاطة والتحليل ، هو روح الإمام المقدسة ، ونفسه الطاهرة المطمئنة .

ذات يوم ، تقرر أن يقوم أحد الشخصيات الثورية ، التي كانت قد اكتسبت مكانة أسطورية لدى الناس في ذلك الحين ، بزيارة الإمام الخميني ، لأول مرة في مدينة كربلاء . وفي الموعد المحدد ، اجتمع عدد من الأصدقاء في منزل سماحته لحضور اللقاء . وقياساً على اللهفة التي كانت تسكن أنفسهم على رؤية تلك الشخصية ، فقد توقعوا أن يسود جو من الإثارة والتشويق على اللقاء المنتظر بين الرجلين . ولكن الحسابات لم تكن دقيقة تماماً . عندما دخل الضيف الكريم إلى المجلس ، حدث الشيء الذي أثار استغراب الحاضرين . إذ أنه تقدم نحو سماحته بطريقة

ملؤها الاحترام والتواضع، وانحنى أمامه مقبلاً يده الطاهرة. فما كان من الإمام إلا أن عامله كأي زائر عادي من الزوار الذين يفدون عليه باستمرار. وفي الوقت الذي لم يتمالك فيه الحضور أنفسهم، حيث هبوا من أماكنهم احتفاءً بالشخصية القادمة وتكريماً لها، لم تصدر عن سماحته أدنى حركة تدل على تأثره بالموقف! رؤية هذا المشهد، كان له وقع الصدمة على الجميع. ولكن عندما تبين لنا بعد مدة أن الشخص المذكور، كان قد أطلق سراحه حيث ترك إيران طوعاً، انتبهنا لدقة نظر سماحته وحسن تقديره للأمور. وبذلك توضحت الصورة للجميع، حيث وجدوا الجواب المناسب على الأسئلة التي راودت أذهانهم منذ أشهر خلت. وهكذا، فقد حُل هذا اللغز بعد مرور فترة من الزمن. ولكن لغز الإمام، هو الذي بقي مستعصياً على الفهم والإدراك.

من جهة أخرى، أحاط الإمام بعض الأشخاص الذين لم يتمتعوا بالتقدير المطلوب لدى الآخرين، برعاية خاصة ومحبة خالصة. ومن جملة هؤلاء الأشخاص، الشيخ المسيب، الذي كان من محبي سماحته في النجف الأشرف. وقد توفي على أثر إصابته بداء السرطان، قبل مدة قصيرة من رحيل الإمام. وقد أبدى سماحته عاطفة كريمة تجاه الشيخ حتى آخر أيام حياته، وبصورة تفوق الحد المتوقع. حتى أنه علق ذات مرة، عندما ذكر اسم الشيخ المسيب في مجلسه، قائلاً: (**الشيخ المسيب، خاصتنا؟**).

إحدى المشاهد التي كانت تبين بوضوح تام، درجات الاحترام والتقدير التي يكنها الإمام لمختلف الأفراد والشخصيات، هي الجلسات الليلية التي كانت تعقد مساء كل يوم، بعد ساعتين ونصف الساعة من

حلول المغرب، في صالة الاستقبال الخارجية من منزله في النجف الأشرف. في هذه الجلسات، كان سماحته يجلس إلى جانب الباب الداخلي الذي يؤدي إلى الغرف الخاصة، في الجهة المقابلة للباب الذي يفد منه الزوار، ليستقبل العلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية في النجف، بالإضافة إلى عدد من الناس العاديين الذين كانوا يتشرفون بزيارته. ومع بدء توافد الضيوف، كان سماحته يبادر إلى التأهيل بهم بطرق مختلفة تتفاوت بتفاوت الزوار القادمين. إذ أنه كان يكتفي برد التحية والسلام على البعض منهم. ويزيد عبارة (**مساكم الله بالخير**) على التحية، بالنسبة للبعض الآخر. وينحني قليلاً وهو جالس على الأرض، عند قدوم بعض الأفراد. ويضع يديه على الأرض كعلامة على أنه يهم بالنهوض، لدى قدوم أفراد آخرين. وينهض بنصف جسمه عن الأرض، من أجل بعض الأشخاص. وينهض بنصف جسمه حتى يشارف على الوقوف، من أجل أشخاص آخرين. وينهض واقفاً بقامته المجللة كاملة، في بعض الحالات فقط. أضف إلى ذلك، أنني شاهدت شخصياً سماحته وقد وقف وقفة كاملة مرحباً، وشايع حتى الباب مودعاً، شخصين فقط من بين زواره، وهما: المرحوم آية الله بحر العلوم، والمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين الدهاقاني. وكلاهما كانا من علماء النجف الأشرف الأجلاء.

ومن الجدير بالذكر أن طريقة الإمام في التعاطي مع الآخرين، التي تنوعت بتنوع الأفراد من حيث المرتبة والشأن والمقام، بقيت ثابتة واحدة منسجمة، حيال كل فرد بحد ذاته. والأهم من ذلك، أنه عندما كان يلتقي شخصاً يتمتع بصفتين، أو بالأحرى بمركزين يتميز كل واحد

منهما بشأن خاص، كان يتعاطى معه كل مرة، بأسلوب يتناسب مع الموقع الذي هو فيه.

في مجال المعاشرة، ومجالسة الأصدقاء والأحبة:

لقد اتسم الإمام الخميني بحضور يفيض بالمحبة واللطف والحنان، حضور آسر جذب الناس إليه وشد القلوب إلى وهجه. كان شمساً أذابت الصدأ والقساوة عن القلوب المتحجرة، وبحراً إرتوت من فيض أمواجه الأفئدة الظمآنة.

ولكن الوضع كان يتغير في مجال إداء المهمات والتصدي للمسؤوليات، وفي محيط عمله ومشاغله، حيث كان يبدو كجبل أشم ذي بنيان مرصوص، لا تهزه رياح الحوادث والعواطف والصعاب. لم يتخل سماحته عن صلابته أبداً في هذا المجال، ولم تلن قناته أبداً في مواجهة المسؤوليات الجسام. إذ أن القلة المعنوية الرفيعة التي كان يتربع فوقها، لم تدعه يستسلم ويذعن ويلين، إلا أمام الملكوت الأعلى. ولذا فكان ينسلخ عن جميع القيود العاطفية في سبيل الله عزّ وجلّ، ولا يضع نصب عينيه سوى الحق ورضاه.

وكما أشرنا سابقاً، فقد حرص سماحته على رعاية شخصيات الأفراد الذين يلتقي بهم، وإحترامها على أحسن نحو ممكن. كما حرص على أكبر قدر من الجدية والحزم والفعالية، في مجال إنجاز الأعمال والمهمات. أما عند مجالسة الأصدقاء والأحبة، بعيداً عن أجواء المشاغل والملفات، فكان الوجه الآخر لسماحته يبرز بصورة جلية، حيث المزاح والملاطفة وتجاذب أطراف الحديث، وإضفاء جو من الحبور على الجلسة. أما في

البيت وداخل الأجواء الأسرية، فقد كان نموذج الزوج الصالح، الأب المحب، والجد الحنون الذي يرعى أفراد عائلته، ويحيطهم بدفء عاطفته وحنانه.

هذا وقد شاهدت مرات عديدة، الاحترام الفائق الذي يكنه الإمام لآية الله السيد بسنديده، شقيقه الأكبر وأستاذه في مرحلتي الطفولة والفتوة، حيث كان يجله كأستاذ من أساتذته، ويسمو في تعامله معه إلى درجة وضعه في موضع الأبوة. وفي مجالس الأنس والصداقة، وبعيداً عن المسائل السياسية، كان الإمام يتحدث إلى أخيه ويتقصى أخباره، ويسأله عن أحواله ومشكلاته الحياتية، ويستمع إلى عرض لمشاغله اليومية، بصورة طبيعية جداً، وبسعة صدر مميزة.



الفهرس